تفسير
سورة النمل

أ.د. السيد عبد الحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسير
سورة النمل

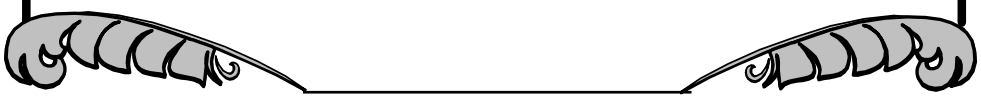

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النمل

عرض السورة

- أشهر أسمائها (**سورة النمل**) وتسمى أيضا (**سورة سليمان**) وذكر أبو بكر بن العربى[١] أنها تسمى سورة (**الهدهد**) ووجه الأسماء الثلاثة: أن لفظ النمل، ولفظ الهدهد لم يذكرا فى سورة من سور القرآن عبرها، وأما تسميتها بسورة سليمان، فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصّلًا لم يذكر مثله فى غيرها[٢].

- وهذه السورة مكية بالاتفاق وعدد آياتها: ثلاث وتسعون آية وقيل: أربع وتسعون، وقيل: خمس وتسعون آية [٣].

- تهتم سورة النمل بنواحى العقيدة، وأصول الإيمان: من توحيد الله عز وجل والاعتقاد بكتبه ورسله، والإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحى، وأن الغيب كله لله، لا يعلمه سواه، والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله وأن لا حول ولا قوة إلا بالله وهى إحدى ثلاث سور نزلت متتالية، ووضعت حسب نزولها فى المصحف متتالية وهى: الشعراء، والنمل، والقصص.

- تكاد تسلك مسلك واحدًا فى الفطنة والاعتبار ممن سبق من الأمم، فنجد حلقة من قصة موسى – عليه السلام – تأتى فى مقدمة السورة ورؤيته للنار،

---

(١) أحكام القرآن: لابن العربى، ٣ / ١٤٤٨ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٨ / ٢١٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى، ١٣ / ١٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونداء الله تعالى له، وتكليفه بالرسالة إلى فرعون وقومه، وكيف كان جزاؤهم عندما كذبوا وأعرضوا عن منهج الله تعالى....

ثم نجد قصة داود وسليمان عليهما السلام، وما آتاهما الله من النعم، وهى نعمة العلم والملك والنبوة، وتسخير الجن والطير لسليمان، وقصته مع ملكة سبأ، وكيف دعاهم إلى عبادة الله الواحد القهار..

ثم تأتى قصة قوم ثمود وما آل إليه مصيرهم عندما كذبوا رسولهم، ثم تختم السورة هذه القصص بقصد قوم لوط وكيف أن الله عز وجل أهلكهم، وفى ذكر هذه القصص تسلية للنبى ﷺ وتنشيطًا له، وتعريفًا بعلو منصبه..

ثم تختم السورة بالحديث عن توحيد الله عز وجل وضرب المثل لتثبيت المعانى فى أذهانهم فقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩).

ثم يختم السورة بإيقاع يناسب جوها وموضوعها ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٩١). ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النمل: ٩٢ - ٩٣).

- ابتدأت هذه السورة الكريمة بذكر القرآن العظيم، وهو المعجزة الخالدة، تحداهم الله عز وجل أن يأتوا بمثله وهم أرباب الفصاحة والبيان، فعجزوا وهذا خير دليل على صدق النبى ﷺ وختمت هذه السورة المباركة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بذكر القرآن الكريم حيث أمره الله تعالى أن يتلو القرآن ففيه الهدى والنجاة لمن أراد النجاة فى الآخرة، أما من يضل عن الطريق فلا يملك من أمرهم إلا أن يقول: ما أنا إلا نذير مبين.

- لما ختم الله سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن، وأنه من عند الله، ونفى الشك عنه وتزييف ما كانوا يتكلفون من تفريق القول بنسبته إلى السحر، والأضغاث، والافتراء والشعراء، وكل ذلك ناشئ عن أحوال الشياطين - ابتدأ سبحانه هنا بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المطهر عن وصمة تلحق بشىء من ذلك تلام بوصفه بأنه منظوم مجموع لفظا ومعنى، لافصم فيه ولا خلل، ولا وصم ولا زلل، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه[1]، وسورة النمل كالتتمة لسورة الشعراء حيث زاد سبحانه وتعالى فيها ذكر داود، وسليمان، وبسط فيها قصة لوط أبسط مما هى قبل، وقد وقع فيها ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ (النمل: ٧).

وذلك كالتفصيل بقوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ٢١)، وقد اشتملت كل من السورتين على ذكر القرآن وكون من الله تعالى وعلى تسليته ﷺ إلا غير ذلك[2].

❁ ❁ ❁

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: للبقاعى ٥ / ٤٠٦.

(٢) روح المعانى للألوسى ١١ / ٢٣١. الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيان إعجاز القرآن

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾
(النمل: ١ – ٢)

إجمال المعنى

ابتدأت سورة النمل بالأحرف المقطعة، للتنبيه على المادة الأولية التى تتألف منها السورة الكريمة، والقرآن كله، وهذه الأحرف معروفة عن العرب، ومع هذا عجزوا أن يؤلفوا كتابا مثله، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا يقول تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ (هود: ١٣).

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا يقول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾ (البقرة: ٢٣).

❁ ❁ ❁

اختلاف العلماء فى الأحرف المقطعة

وقد اختلف المفسرون فى الأحرف المقطعة التى فى أوائل السور:

فمنهم من قال: هى مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها. وقالوا هى سر الله فى القرآن الكريم ونسب هذا القول إلى: أبى بكر، وعمر، وعثمان وعلى، وابن مسعود – رضى الله عنهم – والشعبى، والثورى، والربيع بن خُثيم(١)، ومنهم من خسرها واختلفوا فى ذلك على أقوال عديدة:

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى ١ / ١٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها. وقيل: هى إشارة إلى حروف الهجاء أعلم بها العرب – حين تحداهم بالقرآن، وهو مؤلف من نفس الحروف التى منها بناء كلامهم – ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم، وقيل هى حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها[١].

قال ابن جرير بعد أن ذكر هذه الآراء: ولا منافاة بين الواحد منها وبين الآخر، وإن الجمع ممكن فهى أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور، فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته، كما افتتح كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه[٢].

قال الحافظ ابن كثير: مجموع هذه الحروف التى فى أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفًا مجموعة فى قولك: (**نص حكيم قاطع له سر**) وهى نصف الحروف عددا، والمذكور منها أشرف من المتروك[٣].

❁ ❁ ❁

حكمة تقطيع الحروف فى أول السور

قالوا: إنما ذكرت هذه الأحرف التى ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثل هذا مع أنه مركب من الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها.

قال الزمخشرى: ولم ترد كلها مجموعة فى أول القرآن، وإنما كررت ليكون أبلغ فى التحدى والتبكيت، كما كرر قصص كثيرة، وكرر التحدى فيها بالصريح

(١) تفسير الطبرى ١ / ٩٢.
(٢) تفسير الطبرى ١ / ٩٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ١ / ٧٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فى أماكن وجاء منها على حرف واحد (**ص، ن، ق**) ومنها ما جاء على حرفين مثل (**حم**) ومنها ما جاء على ثلاثة أحرف مثل (**الم الر**) ومنها ما جاء على أربعة أحرف مثل: (**المص، المر**) ومنها ما جاء على خمسة أحرف مثل: (**كهيعص**) (**حم عسق**).

قال ابن كثير: ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع فى تسع وعشرين سورة.

يقول سبحانه ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة:١-٢)، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ (آل عمران:١-٢)، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ (الأعراف:١-٢).

وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر.

والقرآن الكريم فيه الهداية والبشارة لمن آمن وعمل صالحًا يقول سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢)، إذ القرآن ليس كتاب علم نظرى أو تطبيقى ينتفع به يقرأه، ويستوعب ما فيه، إنما القرآن يخاطب القلوب أول يخاطب، ويسكب نوره وعطره فى القلب الذى يتلقاه بالإيمان واليقين، وكلما كان القلب نديا بالإيمان زاد تذوق لحلاوة القرآن، وأدرك من معانيه مالا يدركه منه القلب الصلد الجاف .

وقد جعل الله تعالى فى القرآن النفع به للمؤمنين، فجعله شفاءًا، يقول سبحانه: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (فصلت: ٤٤).

ويقول سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء: ٨٢).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كون القرآن شفاء، لكن لا يناله إلا الأبرار. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٥٧).

فالقرآن يذهب ما فى القلوب من أمراض: كالشك، والنفاق، والشرك، والزيغ، والميل، فهو يشفى من ذلك كله.

وهو أيضا رحمة يحصل بها الإيمان، والحكمة، وطلب الخير، والرغبة فيه. وليس هذا إلا لمن آمن وصدّق وإتبعه فإنه يكون شفاء فى حق ورحمة.

وأما الكافر الظالم لنفسه فلا يزيده القرآن إلا بعدًا وكفرًا.. والآفة من الكافر كفره، وعناده واستكباره، وليست الآفة من القرآن كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٥).

❁ ❁ ❁

ما يستفاد

١ – بيان أن هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى.

٢ – الدلالة على أن القرآن الكريم معجزة تحدى الله به العرب.

٣ – تضمن القرآن الهداية لمن صدقه وآمن به، وعمل بما فيه.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيان صفات المؤمنين وجزائهم وصفات الخاسرين وجزائهم

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ (النمل: ٣ - ٦)

جمال المعنى

لما بين الحق سبحانه أن القرآن هدى وبشرى للمؤمنين شرع سبحانه فى بيان وصف الإيمان بما يصدق من الأمور الظاهرة، إذ أن وصف الإيمان لا يظهر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٣)، وذلك تأكيدا بأن ادعاء الإيمان لا يقتصر على اللسان فحسب، بل لأن العمل، ووجود الوصف يتطلبه من المؤمن.. وهكذا يوضح للمكلفين هذا الجانب المهم.

ولما أُفهم من هذا البيان أن هناك من يكذب بها وكان أمرها فى الطباع مركوزًا راسخًا لما عليها من الأدلة الباهرة فى العقل والسماع، وتشوقت النفس إلى معرفة حالهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾ (النمل: ٤ - ٥).

تمضى بنا الآيات فى وصف أولئك المؤمنين الذين جاءهم الكتاب المبين فيقول: أولئك هم المداومون على إقامة الصلاة بفروضها وسننها وهيئاتها فى أوقاتها والإقبال عليها بالخشوع والخضوع لله تعالى[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى، ١ / ١٦٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصلاة هى سبب للرزق، وذهاب الأسقام والأوجاع يقول تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢)، وكان المصطفى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، إذ هى تذهب بالغم والحزن وتقرب العبد من ربه وكفى بذلك نعمة أنعمها الله على عباده المؤمنين.

ثم تضيف الآية الكريمة وصفًا آخر للمؤمنين، وهم أنهم يؤدون حق الزكاة فيطهروا نفوسهم ، ويستعلون بأرواحهم عن فتنة المال، ويصلون إخوانهم فى الله ببعض ما رزقهم الله، ويقولون بحق الجماعة المسلمة التى هم فيها أعضاء ويصير المجتمع المسلم مجتمعا متكافلًا يساعد الغنى فيه الفقير.

وهم مع ذلك هم بالآخرة والمغيبات يؤمنون بها عن يقين فإذا الخوف من الله يغمر قلوبهم ونفوسهم، وهؤلاء هم المؤمنون الذاكرون لله، القائمون بتكاليفه، المشفقون من حسابه وعقابه، الطامعون فى رضائه وثوابه، هؤلاء هم الذين تتفتح قلوبهم للقرآن، فإذا هو هدى وبشرى، وإذا هو نور فى أرواحهم، ودفعة فى دمائهم، وحركة فى حياتهم، وإذا هو زادهم الذى يبلغون، وربهم الذى به يشتفون .

ثم تذكر الآية جزاء من يكذب ويكفر بالواحد القهار فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (النمل: ٤).

فالإيمان بالآخرة هو الزمام الذى يكبح الشهوات والنزوات، ويضمن القصد والاعتدال، فى الحياة، والذى لا يؤمن بالآخرة لا يملك أن يحرم نفسه شهوة، أو يكبح فيها نزوة، إذ إنه يظن أن متاع الحياة الدنيا هو منتهى القصد والغاية التى يبذل فى سبيلها كل شىء، وينسى أن هناك يوما آخر يحاسب فيه العبد المؤمن على إيمانه. والكافر على كفره. والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النفس البشرية على هذا النحو، وجعلها مستعدة للاهتداء. إن تفتحت لدلائل الهدى.. مستعدة للعماء إن طمست منافذ الإدراك فيها، ومشيئته سبحانه نافذة فى حالتى الهدى والعمى، فالذين لا يؤمنون بالآخرة زينت لهم الحياة الدنيا وشهواتهم وكفرهم فهم فى غيهم حائرون لا يهتدون وأولئك فى الآخرة هم الأخسرون .

ثم تذكر الآية الكريمة أن القرآن وهو الكتاب المبين الذى ذكر الله فيه قصص الغابرين، أنه من لدن حكيم عليم لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وفى هذا دليل على صدق النبى ﷺ إذا إنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يعلمه معلم فمن أين له ذلك، فحتما أن يكون من لدن حكيم عليم.

❁ ❁ ❁

هدايـــــات

- الإيمان بالله تعالى يقتضى التصديق بكل ما أمر الله به من العمل المؤكد للإيمان باليوم الآخر.
- أن الذى لايؤمن بما يستلزم التصديق بالآخرة سيكون من الخاسرين.
- أهمية الصلاة والزكاة فى الإسلام، وأن من لا يؤدى تلك الفريضة فلا حظ له فى الإسلام.
- عظمة يوم القيامة وما فيه من غبن، وحسرة على الصنف المعرض عن أمر الله.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نداء الله لموسى بوادى طوى

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النمل: ٧ - ١٤)

تمهيـــــد

تعرض الآيات الكريمات نداء الله تعالى لموسى بوادى طوى، وكيف أن الله اختاره لحمل الرسالة العظيمة وإبلاغها إلى فرعون وقومه، وكأنما يقول للرسول ﷺ إنك لست بدعًا من الرسل فى هذا التلقى فها هو ذا موسى يتلقى التكليف وينادية ربه لحمل تلك الرسالة، وليس ما تلقا من قومك بدعًا فى التكذيب، فها هم أولاء قوم موسى تستيقن نفوسهم بآيات الله، ولكنهم يجحدون بها ظلما وعلوا ناظر كيف كانت عاقبة المكذبين.

❁ ❁ ❁

إجمـــال المعنـــى

لما وصف الحق تبارك وتعالى القرآن الكريم بأنه كتاب مبين وأنه من لدن حكيم - بدأ سبحانه فى سرد قصة سيدنا موسى عليه السلام – تسلية لقلب النبى ﷺ وتثبيتا له وليكون سرده لقصص الأولين أكبر دليل على أنه من لدن حكيم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليم، إذ من أين لمحمد الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب، ولا يجلس إلى معلم بمثل قصص الأولين، فقال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ (النمل: ٧).

تعرض الآيات هذه الحلقة السريعة من قصة موسى عليه السلام فيقول الحق سبحانه: أذكر يا محمد إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارًا، وقد تكررت هذه القصة فى سورة طه فيقول: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾ (طه: ٩ - ١٠).

قال ابن عباس وغيره: هذا حين قضى الأجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى رجلًا غيورًا يصحب الناس بالليل، ويفارقهم غيرة منه لئلا يروا امرأته، فأخطأ الرفقة لما سبق فى علم الله تعالى، وكانت ليلة مظلمة شاتية باردة، وقد حاد عن الطريق، وتفرقت ماشيته، وفى تلك اللحظة رأى موسى نارًا من بعيد فقال لأهله: ﴿ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ (طه: ١٠). وعبر هنا بالسين فى قوله ﴿ ءَاتِيكُم ﴾ (طه: ١٠). وفى سورة طه ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم ﴾[1] (طه: ١٠)... لأن الْعِدَتَيْن على سبيل الظن، أو لأنه إن لم يظفر بها فلم يقدم أحدهما. بناء على ظاهر الأمر. وثقة بسنة الله عز وجل، أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده[2]...

فلما توجه موسى نحوها فإذا النار فى شجرة فوقف متعجبًا من حسن ذلك الضوء، وشدة خضرة تلك الشجرة، ولا كثرة ماء الشجرة، ولا نعمة الخضرة تغيران حسن ضوء النار[3].

---

(١) تفسير الطبرى ١٦ / ١٤٢ آية / ١٠ من سورة طه والأثر صحيح.

(٢) روح المعانى للآلوسى ١١ / ٢٣٨ .

(٣) تفسير الطبرى: ١٦ / ١٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ورد هذا الموقف أيضا فى سورة القصص بقوله سبحانه ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ (القصص: ٢٩)، والجذوة: الجمرة الملتهبة. فلما آتاها موسى ناداه الملك سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾ (النمل: ٨).

وفى سورة طه يقول سليمان: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ (طه: ١١ - ١٢).

إنه النداء الذى يتجاوب به الكون كله، وتتصل به العوالم والأفلاك، ويخشع الوجود كله، وترتعش له الضمائر والأرواح.. النداء الذى تتصل به السماء بالأرض، ويرتفع فيه الإنسان الفانى الضعيف إلى مقام المناجاة بفضل من الله.

﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل: ٨)، إنها لم تكن نارًا من التى نوقدها – على الأرجح – إنما كانت نارًا مصدرها الملأ الأعلى، نارًا أوقدتها الأرواح الطاهرة، من ملائكة الله للهداية الكبرى، إيذانا يفيض من البركة العلوية على من فى النار ومن خولها .

وأصبحت هذه البقعة بقعة مباركة مقدسة كما قال تعالى فى سورة القصص ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (القصص: ٣٠).

ولهذا أمره سبحانه وتعالى أن يخلع نعليه لينال بركة هذا المكان.

ثم يأتى بقية النداء الذى اشتمل على تنزيه الله وإعلان ألوهيته بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ (طه: ١٤)، فكشف الله لعبده أن الذى يناديه هو رب الأرباب. وملك الملوك سبحانه، فيُجب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تنزيهه والإقرار بالعبودية له سبحانه، وكان هذا النداء للاصطفاء، وليختاره سبحانه ليكون نبيا مرسلًا يقوم بتبليغ رسالته إلى فرعون وقومه، ثم أخذ سبحانه يبين له المعجزات الدالة على صدق نبوته فقال سبحانه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (طه: ١٧ - ١٨).

فقد أمره سبحانه أن يُلقى عصاه، وهى التى له فيها منافع كثيرة منها: ما ذكره، ومنها ما أجمله، فلما ألقاها فإذا هى تدب وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير من الحيات (الجان)، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (النمل: ١٠)، وأدرك موسى طبيعة البشر، وأخذ هزّة المفاجأة، فناداه جل وعلا ليطمئن قلبه ﴿لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠).

وفى سورة القصص ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ (القصص: ٣١)، أمر به سبحانه أن يثق به كل الثقة، وأن يتوكل عليه كل التوكل إذ إنه نبى مرسل ينبغى ألا يخاف إلا من الله سبحانه.

ثم استثنى سبحانه منهم بقوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (النمل: ١١).

فالاستثناء هنا منقطع، وفيه بشارة عظيمة لبنى آدم، وذلك أن من عمل شيئا ثم أفلح عنه، ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه فيقول سبحانه: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ (طه: ٨٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠)، ثم أخذ سبحانه فى ذكر آية أخرى تدل على صدق موسى فى نبوته وهى أن يدخل يده من فتحة صدره تخرج بيضاء ساطعة لها لمعان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتلألأ كالبرق الخاطف فقال سبحانه: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ (النمل: ١٢).

وفى سورة طه ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٢٢).

وفى القصص: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾ (القصص: ٣٢).

ثم أجمل المولى تبارك وتعالى بقية المعجزات التى أعطاها موسى لتكون براهين على صدق دعوته ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل: ١٢).

وهذه الآيات منها ما ورد فى سورة الأعراف ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٣).

والسنين كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٠).

والفلق كما فى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء: ٦٣).

وإلى ما ذكر نضيف اليد والعصا فتصير المعجزات تسعًا كما ذكر مجملة فى هذه الآية، ولكن بعد مجيء هذه الآيات على صدق موسى فى دعواه كذبوا فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المكذبين.

ثم تحمل الآيات مجيء موسى وتلبيته هذا النداء إلى فرعون وقومه والتى جاءت مفصلة فى سورة أخرى منها سورة الشعراء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما جاءتهم هذه الآيات الكثيرة العدد، القوية فى الحجة، ومع هذا قالوا عنها: هذا سحر مبين، قالوا هذا لا عن افتتان به، ولا عن شبهة فيه إنما قالوا ظلما وعلوا مع أن قلوبهم متيقنه أنه الحق الذى لا شبه فيه .

وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن ويوقنون أنه الحق الذى لا مرية فيه ولكنهم يجحدون، وذلك لأنهم يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم لما رأوا لها من أوضاع تسندهم، ومغانم تتوافد عليهم، وهى تقوم على تلك العقائد الباطنة، التى يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، ويحسونها تتزلزل تحت أقدامهم، وتترنح فى ضمائرهم، ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهى المريب .

فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، وعاقبة فرعون وقومه معروفة، كشف عنها القرآن فى مواضع أخرى، وإنما يشير إليها هذه الإشارة لعلها توقظ الغافلين من الجاحدين بالحق المكابرين فيه إلى عاقبة فرعون وقوله قبل أن يأخذهم مأخذ المفسدين.

ولنذكر هنا هلاك فرعون وقوله والتى ذكرها الله تعالى فى قوله: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾ (يونس: ٩٠ - ٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ (الشعراء: ٦١ - ٦٢).

إن قصة موسى من القصص العظيمة المتكررة فى ثنايا الكتاب العزيز بدأها ببيان رسالة موسى ومعجزاته، وقوة دلائله وبيناته، ليكون تكذيبهم بعد أشنع فى الميزان الفطرى والعقلى، وتكون عقوبتهم هى الحكم العادل الذى يستحقونه، وعبرة لمن تسوّل له نفسه السير على هذا المنوال، الذى عاقبته الوبال، والعذاب والنكال.

❁ ❁ ❁

الهدايـــــات

- فيه دليل قاطع على نبوة محمد ﷺ إذ لم يكن فى قلب الحديث المتعلق بموسى **إذ ذاك**.
- الدليل على اصطفاء الله لموسى كما أخبر الله بذلك.
- الإعداد الربانى العملى لمواجهة الطاغية فرعون وقومه، وتدريبه على العصا التى تنقلب ثعبانا بقدرة الله تعالى.
- إظهار قدرة الله جلية أمام موسى ليأنس بها، ويكون ثابت الجَنَان فى دعوته لفرعون.
- الله عز وجل يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. وهذه سنة الله سبحانه فيهم.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيان ما أوتى داود وسليمان عليهما السلام

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (النمل: ١٥ - ١٦)

تمهيـــــد

ثم تمضى الآيات فى ذكر قصة أخرى تسلية لقلب النبى محمد ﷺ ولكنها قصة مختلفة عن سابقتها، فالأولى كذب فرعون وقومه، وأما هذه القصة فما أن جاءتهم الآيات إلا أن أذعنوا وآمنوا بالله الواحد القهار وهى قصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ.

❁ ❁ ❁

جمـــال المعنـــى

لما ذكر الحق تبارك وتعالى فى بداية السورة أنه كتاب مبين وأنه من لـــدن حكيم عليم فأخذ يقص على العرب مالا علـــم لهم به من قصـــص السابقـــين، فابتدأ بنبذة موجزة عن حلقة من قصة موسى ثم أتبعها بقصة داود وسليمان، وكيف أن الله تعالى امتن عليهما بنعم عظيمة، ونجد أن هذه السورة قد بسطت القول فى قصة سليمان مع الهدهد وملكة سبأ.

وفى هذه القصة نتعلم منها فضل العلم فيقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾ (النمل: ١٥). ففيها دليل على شرف العلم ومكانته، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيه فقد أوتى فضلًا على كثير من عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1] (المجادلة: ١١).

(١) الجامع لأحكام القرآن. (٧ / ١١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى هذه القصة أيضا: استعراض لنعم الله على عباده، وآياته فى الكون واستخلافه للناس، وهم يجحدون بآيات الله ولا يشكرونه، وفيها نموذج للعبد الشاكر، الذى يسأل ربه أن يوفقه إلى شكر نعمته عليه، المتدبر لآيات الله الذى لا يغفل عنها، ولا تبطره النعمة ولا تطغيه القوة.

ثم تمضى الآيات فى هذه القصة مجملة ما آتاه الله داود عليه السلام فقد كان رجلًا صالحًا قويًا فى عبادة ربه، إذ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وكان يقوم نصف الليل، وكان دائم الرجوع إلى ربه فقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (ص: ١٧)، وقد أعطى الله داود فضلًا على عباده المؤمنين، فقد آتاه الله النبوة والزبور، والعلم كما فى هذه الآية.

وقد سخر الله عز وجل له الجبال يسبحن معه والطير، وألنا له الحديد.

فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ (سبأ: ١٠)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩﴾ (ص: ١٨ - ١٩)، فكانت الجبال تسبح مع داود، وكانت الطير تساعده على ذلك، فقد أعطاه الله صوتا حسنًا فكان إذا سبح تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات.

وفى الصحيح: (أن الرسول ﷺ سمع صوت أبى موسى الأشعرى يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته القرآن ثم قال: «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود»[1].

(١) صحيح البخارى (٤/ ١٩٢٥م ٤٧٦١.
وصحيح مسلم ١ / ٥٤٦م ٧٩٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال وهب بن منبه: كان الماء الجارى ينقطع عن الجرى، وكانت الوحوش تتزاحم لسماع لحن صوته[١]...

وكان من نعم الله عليه أن ألنا له الحديد، فكان لا يحتاج أن يدخله نارًا، ولا يضربه بمطرقة، بل كان يقتله مثل الخيوط.

ولهذا قال سبحانه: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ: ١١)، وهى الدروع، وكان داود أول من صنعها، فأمره الله سبحانه أن تكون سابغات أى: واسعة متينة.

وكانت قبله صفائح فأمره ربه أن يجمع بين الخفة والحصانة[٢]. ثم أمره ربه أن يقدر فى السرد فقال: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ (سبأ: ١١)، أى لا تدق المسار فيفلق فى الحلقة، ولا تغلظه فيقسمها بل أرجعه بقدر وهذا هو ما عبر عنه الله بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٨٠)، وهى اتخاذ الدروع.

وفى هذا دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة فى فضلهم وفضائلهم، إذ يحصل لهم التواضع فى أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخالى من الامتنان[٣]، فقد ورد عن النبى ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى (١٤ / ٢٦٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى (١٥ / ١٦١).
(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى (١٥ / ١٦١).
(٤) صحيح البخارى ٢ / ٧٣٠ح ١٩٦٦.
سنن ابن ماجه ٢ / ٧٢٣ مختصرا، والبيهقى فى السنن الكبرى ٦ / ١٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أتاه الله أيضا قوة فى ملكه حتى أصبحت له الهيبة وإلقاء الرعب منه فى القلوب، قيل ذلك لكثرة جنوده، وقيل بالنصر والتأييد فيقول سبحانه ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ (ص: ٢٠).

وقد أتاه الله أيضا الفصل فى القضاء، وقيل: هو: البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر.

وقيل: البيان الفاصل بين الحسن والباطل، وهذه الأقوال متقاربة فقد آتاه الله فضلًا فى القضاء بحكمه بها يفرق بين الحق والباطل.

وقد حكى القرآن الكريم مشهدًا من قصة حكم فيها داود فيقول سبحانه: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ (ص: ٢١ - ٢٤).

قال ابن كثير: وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت عن المعصوم حديث يجب اتباعه، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمنّه فهو حق أيضا[1].

ذكرت الآيات خبرًا تقريريا عن أبرز النعم التى أنعم الله بها على داود وهى نعمة **العلم**.

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٣٧ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأما عن داود فذكرت نعم الله عليه فى سور أخرى على نحو ما ذكرت سابقا.

وأما سليمان ففى هذه السورة تفصيل ما علمه الله من منطق الطير، وما إليه بالإضافة إلى ما ذكرت فى سور أخرى، فنجد أن الله قد سخر له الريح عاصفة تجرى بأمره حيث أراد فيقول سبحانه: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ: ١٢).

أى: تغدو مسيرة شهر، وتروح مسيرة شهرين فى يوم[١].

وقيل: جعل الله الريح مسخرة لسليمان تجرى بأمره إلى الأرض المباركة يعنى الشام، ويروى أنها كانت تجرى به وبأصحابه إلى حيث أراد.

وكذلك سخر الله النحاس فأصبح سائلًا يجرى، فيقول سبحانه: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ (سبأ: ١٢). قال ابن عباس رضى الله عنهما: أسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكان بأرض اليمن، ولم يذب النحاس لأحد قبله، وكان لا يذوب ومن وقته ذاب، وإنما ينتفع الناس به إلى اليوم بما أخرجه الله تعالى لسليمان.

قال القرطبى: والظاهر أنه جعل النحاس لسليمان فى معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته[٢].

وكذلك جعل الله الجن مسخرة لأمره فيقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (سبأ: ١٢).

فقد سخر الله له الجن يطيعه ويأتمر بأمره، وينتهى لنهيه، فيعمل بين يديه ما يأمره به طاعة بإذن لربه، ومن يذل ويعدل من الجن عن أمرنا نذقه من عذاب السعير فى الآخرة، فكانوا يصنعون له التماثيل والمحاريب فيقول سبحانه:

---

(١) تفسير الطبرى: ٢٢ / ٦٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٢٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤ / ٢٧٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (سبأ: ١٣)، فكانوا يصنعون له التماثيل، ويصورون له الصور، وقيل إنها صور الأنبياء والعلماء وكانت تصور فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادًا كما جاء فى حديث «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور[١]».

وفى هذا دليل على أن التصوير كان مباحًا ثم نسخ بشرع سيدنا محمد ﷺ.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على حرمة التصوير كما فى حديث: «إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل»[٢]. كما فى صحيح البخارى وبألفاظ متعددة.

واستثنى العلماء البنات لما روى عن عائشة رضى الله عنها – قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبى ﷺ وكان له صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسر بهن إلىَّ فيلعبن معى[٣]).

قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ثم إنه لا بقاء لذلك، وكذلك ما يصنع من الحلوى أو من العجين لابقاء له[٤].

وكذلك كانوا يعملون المحاريب وهى أشرف مكان فى الدار والمسجد، وكانوا يصنعون له الجفان وهى القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذى يجىء فيه الشيء.

---

(١) صحيح البخارى ٥ / ٢٢٧٠ح ٥٧٧٩.
(٢) صحيح البخارى ح ٦١٠٩.
(٣) صحيح البخارى ١ / ١٦٥ح ٤١٧. مسلم ١ / ٣٧٥ح ٥٢٨.
(٤) الجامع لأحكام القرآن القرطبى ١٤ / ٢٧٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقدور راسيات قد نحتت من الجبال الصم ما عملت له الشياطين أثاثا فيها بنحوتة ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمتها.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾[1] (الأنبياء: ٨٢).

فقد كانت الشياطين يغوصون تحت الماء يستخرجون له الجواهر من البحر.

وقد أتاه سبحانه الفهم فكان له نصيبه أيضا فى فصل القضاء والخصومات بين الناس فيذكر الله سبحانه فى سورة الأنبياء طرفًا من قضية حكم فيها داود إلا أن حكمه لم يكن صائبا فى هذه المرة فاستدرك عليه سليمان وطلب منه أن يغير هذا الحكم فيقول سليمان ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾ (الأنبياء: ٧٨-٧٩).

فلقد أفسدت الغنم بستان من الكرم قد أثبتت عنا قيده فقضى داود عليه السلام بالغنم لصاحب الكرم، فطلب منه سليمان أن يغير هذا الحكم. فقضى- بدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، ودفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها. وهذا هو قول الله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ (الأنبياء: ٧٩)، فهو سبحانه أثنى على سليمان ولم يذم داود عليه السلام.

قال ابن كثير: أما الأنبياء فهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف، أما من سواهم فقد ثبت فى الصحيح عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر[2]».

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢ / ٧٢.

(٢) صحيح البخارى ٦ / ٢٦٧٦ ح ٦٩١٩. صحيح مسلم ٣ / ١٣٤٢ح ١٧١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

تبدأ القصة هنا فى سورة النمل بمدح العلم وبيان فضله، وفضل من يؤتاه من عباد الله المؤمنين.

والعلم كله هبة من الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وينبغى ألا يكون العلم بعيدًا عن الله عز وجل. فالعلم الذى يبعد الإنسان عن ربه علم فاسد، زائغ عن مصدره، وعن هدفه.

لا يثمر لصاحبه سعادة لنفسه ولا للناس، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار وها هو الواقع يؤيد صدق ذلك، فقد انتهت البشرية اليوم إلى مرحلة جيدة من مراحل العلم، بتحطيم الذرة واستخدامها، ولكن ماذا جنت البشرية حتى اليوم، من مثل هذا العلم الذى لا يذكر أصحابه الله ولا يخشونه، ولا يحمدون له؟ وماذا جنت غير الضحايا والوحشية فى قنبلتى (**هيروشيما**) (**وناجا زاكى**) وغير الخوف والقلق الذى يؤرق جفون الشرق والغرب ويتهددهما بالتحطيم والدمار والفناء .

وبعد تلك الإشارة إلى الإنعام بمنة العلم على داود وسليمان، تبين لنا الآيات أن سليمان ورث أباه داود فى الملك والنبوة والعلم، فتحدث سليمان بنعم الله عليه وهذا من باب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ١١)، لا مباهاة ولا فخرا، ثم يعقب على هذا بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ (النمل: ١٦)، فهذا الذى أوتيه سليمان تعليمه منطق الطير وغير ذلك من النعم – أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه.

وقد ورد فى سورة النمل فى قصة سليمان تفصيل لم يذكر فى سور غيرها، فقد علمه سبحانه منطق الطير، وهى لغاتها ومنطقها، وهذا على سبيل الخارقة التى تخالف قوانين البشر، لا على طريق المحاولة والاجتهاد، فكان يعرف لغاتها وهو أمر لم يعطه أحد من البشر، ومن زعم من الجهلة أن الحيوانات كانت تنطق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا، بل لم تزل البهائم وسائر المخلوقات من وقت أن خلقت إلى زماننا على هذا الشكل، ولكن الله سبحانه أفهم سليمان ما يخاطب به الطيور فى الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلافها وأصنافها.

نعود إلى تفصيل قصة سليمان:

يقول سبحانه: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: ١٧)، فهذا هو موكب سليمان، محشود محشور، يتألف: من الجن، والإنس، والطير. والإنس معروفون، أما الجن فهم خلق لا نعرف عنهم إلا ما أقصه الله علينا، من أمرهم فى القرآن، وهو أنه خلقهم من مارج من نار، وأنهم يرون البشر، والبشر- لا يرونهم، يقول سبحانه ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وأنهم قادرون على الوسوسة فى صدور الناس بالشر عادة، والإيماء لهم بالمعصية، وأن منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون كما ورد فى سورة الجن ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٤)، وكانت الجن مسخرة لسليمان يبنون له التماثيل، والمحاريب، والجفان الكبيرة .

وقد سخر الله عز وجل لسليمان طائفة من الجن، وطائفة من الطير، كما سخر له طائفة من الإنس، ولم يكن كل أهل الأرض من الإنس جندًا لسليمان – إذ إن ملكه لم يتجاوز ما يعرف الآن بفلسطين ولبنان وسوريا والعراق إلى صنعان الفرات فكذلك لم يكن جميع الجن ولا جميع الإنس ولا جميع الطير مسخرين له، إنما كانت طائفة فى كل أمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يدلك على ذلك أن الهدهد لما غاب علم سليمان بفقده، فلو كانت جميع الهداهد مسخرة له لما علم سليمان بفقد واحد من ملايين الهداهد، ولما قال: مالى لا أرى الهدهد؟

فهو إذن هدهد خاص بذاته وشخصه، وكان سليمان إذا غدا إلى الذى كان يجلس فيه تفقد الطير، وكان فيما يزعمون يأتيه طائفة من كل صنف من الطير فنظر فرأى من أصناف الطيور كلها من حضره إلا الهدهد فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[1] (النمل: ٢٠).

وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير وهو موكب عظيم، وحشر كبير، يكف أولهم ع لى آخرهم لئلا يتقدم أحد على منزلته التى هى مرتبة له.

قال مجاهد: جعل على كل وزعة يردون أولها على آخرها لئلا يتقدموا فى المسير، كما يفعل الملك اليوم[2].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ١٨).

تبين لنا الآيات موقفا آخر لسليمان. وهو حديثه عن النملة، وهى معجزة أخرى، فقد سار سليمان فى موكبه المنظّم الدقيق حتى إذا أتوا على وادى النمل، قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على باقى النمل.

قالت للنمل بلغة التفاهم بينهم: ادخلوا مساكنكم حتى لا يحطمنكم سليمان وجنوده؛ إذ أنهم لا يحطمون ضعيفًا إلا لكونهم لا يشعرون..

إذ لو شعروا لم يحطموه لما جاء فى قوله تعالى: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الفتح: ٢٥)، وهذا ثناء على جند محمد ﷺ. التفاتًا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن.. إلا أن المثنى على جند سليمان هى النملة بإذن الله تعالى..

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ١١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ١١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمثنى على جند محمد ﷺ هو الله عز وجل. لما لجنود محمد ﷺ من الفضل على جند غيرهم من الأنبياء، كما لمحمد ﷺ فضل على جميع النبيين صلى الله عليهم أجمعين[(١)]. فأدرك سليمان ما قالت النملة، وهَشَّ له وانشرح صدره بإدراك ما قالت فهى نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المجوّية المعزولة عن الناس، لاستغلاق التفاهم بينهم، وقيام الحواجز، وانشرح صدره لأنه عجيبة من العجائب، أن يكون للنملة مثل هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع .

فلما أدرك سليمان هذا ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ (النمل: ١٩)، والتبسم غالبا ضحك للأنبياء، أما ما روى أن النبى ﷺ كان يضحك حتى تبدو نواجذه، فهذا محمول على أنه أحيانا كان يضحك حتى تبدو نواجذه الشريفة، أما فى الغالب الأعم فقد كان ضحكه تبسما[(٣)].

ودعا سليمان بأن يلهمه الله عز وجل شكر هذه النعمة التى من بها عليه، وهى: تعليمه منطق الجو والحيوان، وعلى والدى بالإسلام لك والإيمان بك. ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ (النمل: ١٩)، فالعمل الصالح فضل من الله يُوَفَّقُ إليه من يشكر نعمته..

ويتضرع سليمان إلى ربه بأن يوفقه إلى شكر نعمته، وأن يوفقه إلى العمل الصالح، وأن يدخله فى عباده الصالحين، فهذا سليمان الذى أنعم الله عليه بنعم لم يُعطَها لأحد من خلقه.. ومع هذا فهو غير آمن من مكر الله حتى بعد أن اصطفاه صار خائفًا أن يقصر به علمه، وأن يقصر به شكره .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى: ١٣ / ١٦٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١١٧. صحيح مسلم حديث النواجذ رقم ٤٧٩. والترمذى رقم ٢٩٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهنا نقف أمام خارقتين لخارقة واحدة: خارقة إدراك سليمان بتحذير النملة لقومها.. وخارقة إدراك النملة أن هذا سليمان وجنوده.

فأما الأولى: فهى مما علمه الله لسليمان، وسليمان إنسان ونبى، فالأمر بالقياس إليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية فى مقالة النملة، فقد تدرك النملة أن هؤلاء خلق أكبر، وأنهم يحطمون النمل إذا داسوه، وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة.

أما أن تدرك النملة أن هذه **الشخوص هى سليمان وجنوده**، فتلك هى الخارقة الخاصة التى تخرج عن المألوف وتحسب فى عداد الخوارق .

وهذا هو دأب القرآن الكريم فى إظهار النعمة التى يمن الله بها على أنبيائه تذكيرًا لهم، وبيانًا لأهمية النعمة، ولتكون نصب عينى أولئك الرسل والأنبياء، ولنأخذ منها الاعتبار والعظة فيما يُعطى الله من شاء، ويمنع من شاء.

❁ ❁ ❁

هدايـــــات

- فضل العلم وأنه من أعظم نعم الله التى يمتن بها على عباده.
- بيان فضيلة داود وسليمان واختصاص الله لهما بخصائص ليس لغيرهم.
- تسخير الله تعالى جميع الكائنات لهذا الإنسان ليسير على منهج الله تعالى.
- التأمل والتفكر فى أصناف هذا الخلق.
- الحكمة الإلهية التى حبكت هذا المشهد العجيب الدال على الوحدانية.
- إظهار القدرة الإلهية على جعل الناطق من البشر يفهم لغة الحيوان الأجنبى.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سليمان وملكة سبأ

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (النمل: ٢٠ - ٢٨)

تمهيـــد

وههنا الانتقال إلى حلقة أخرى عن قصة سليمان لم تذكر فى سورة غير هذه وهى قصة سليمان مع الهدهد، وملكة سبأ، ونجد فيها جمال العرض القرآنى للقصة، لتحقق العبرة التى من أجلها يساق القصص القرآنى.

❁ ❁ ❁

إجمـــال المعنـــى

ولما كان افتتاح الحديث عن سليمان قد تضمن الإشارة إلى الجن والإنس والطير وإلى نعمة العلم، فإن القصة تحتوى أدوارًا لكل من الجن والإنس والطير، ويبرز فيها دور العلم وكما كانت تلك المقدمة إشارة إلى المواقف الرئيسية فى القصة، كذلك تتضح السمات الشخصية والمعالم المميزة لشخصيات القصة:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شخصية سليمان، وشخصية الملكة، وشخصية الهدهد، وشخصية حاشية الملكة ».

تبدأ الآيات بعرض سليمان وتفقده لجنوده بعد ما أتوا على وادى النمل وما حدث هناك فيقول سبحانه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ (النمل: ٢٠)، فعلم سليمان بغياب الهدهد فسأل متعجبا كيف يتسنى لهذا الهدهد أن يغيب بغير عذر.

وفى الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره، كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظماء الملك، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن نحلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب، لسأل عنها عمر، فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية والرعيان(٢).

ثم توعده سليمان فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (النمل: ٢١).

فسليمان لم يجزم بتعذيبه وفقط – بل خيره بين ثلاثة أمور:

إما أن يعذبه – أو يأتى بحجة قوية – لأنه قد يكون له عذر بين.

وفى الآية دليل على أن الحد على قدر الذنب، لا على قدر الجد، أما أن يرفق بالمحدود فى الزمان والصفة.

فمكث الهدهد زمانا يسيرًا ثم جاء فقال لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ (النمل: ٢٢)، أى: بما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢٢)، بخبر صادق.

---

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ١١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسبأ هم: حمير، وهم ملوك اليمن، ثم أخبره بما رأى فى سبأ فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ (النمل: ٢٣)، وهى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقد أتاها الله من كل متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن، وكان لها عرش عظيم مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر... وفى الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم، عندى ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقن، فهذا عمر بن الخطاب مع جلالته وعلمه لم يكن عنده علم بالاستئذان حتى سأل أبا موسى الأشعرى[١] وكان علم التيمم عند عمار وغيره، وغاب عن عمرو ابن مسعود حتى قالا: لا يتيمم الجنب[٢].

ثم أخذ الهدهد يحثه بما هو أعظم وأخطر فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ (النمل: ٢٤ - ٢٦).

يقول الهدهد لسليمان: لقد وجدت ملكة سبأ وقومها وثنيين، يعبدون الشمس ويتركون عبادة الواحد الأحد، وقد حسّن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، وهى عبادة الشمس والكواكب فمنعهم عن طريق الخير والهدى، فهم لا يهتدون إلى الله وإلى توحيده.

ثم قال الهدهد متعجبًا: أيسجدون للشمس! ولا يسجدون لله، الخالق المدبر العظيم، الذى يعلم الخفايا والنوايا، ويعلم كل مخبوء فى العالم العلوى والسفلى، ويعلم السر والعلن، وهو رب العرش العظيم، والمتفرد بالعظمة والجلال.

---

(١) أخرجه البخارى ١٩٢٩ ومسلم ٤٠٠٦.

(٢) سنن البيهقى ٢٧٣، جامع أحكام القرآن ١٣ / ١٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا كان الهدهد داعيا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نهى النبى ﷺ عن قتله.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: نهى النبى ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة – النحلة – والهدهد – والصرد)[1].

أما النملة: فلأنها أتت على سليمان وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه: لأنهم لا يشعرون إن حطموكم، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم، فنفت عنهم الجور.

وأما الهدهد: فلأنه كان دليل سليمان ورسوله إلى بلقيس.

وأما الصرد: يُقال الصوَّام – أول من صام – وقيل: كان دليل إبراهيم فى بناء البيت الحرام، فكان دليله على الموضع.

وأما النحلة: فلما تخرجه من بطونها من العسل الذى فيه شفاء للناس. هنا أراد الله لسليمان أن يثب من هذا البنأ الخطير، الذى اهتزت له مشاعره، فكيف يكون فى زمانه، من يسجد للشمس، ويعبد غير الله، وهو الذى قد بعث بدعوة التوحيد والإيمان.

ولهذا أراد أن يثبت من الأمر فكتب كتابا وأرسله مع الهدهد، وطلب منه أن يأتيه بجوابه: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (النمل: ٢٧ – ٢٨).

وفى الآية دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته، ويدرأ العقوبة عنهم فى ظاهر أحوالهم بباطن أحوالهم: لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، ولكنه لم يتسرع فى قبول كلامه حتى امتحنه – إذ أن هذا الأمر من الأمور

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١ / ٣٣٢ وإسناده صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخطيرة التى ينبغى جهاده، ولكن طلب منه أن يذهب بكتابه إليهم، وفيها دليل كذلك على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام، وقد كتب النبى ﷺ إلى كسرى، وقيصر، وإلى كل جبار.

قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ (النمل: ٢٨)، فيه حسن الأدب مع الملوك، حيث أمره أن يكون قريبا حتى يرى مراقبتهم[١].

ثم أخذ الهدهد الكتاب، وذهب إلى ملكة سبأ، فرفرف فوق رأسها، ثم ألقى الكتاب فى حضنها، وتنحى جانبا، أدبًا **وامتثالًا**.

❁ ❁ ❁

هدايـــــات

- شرف سليمان وفضله.
- مكانة الهدهد وحرمته التى اكتسبها من قيامه بدعوة التوحيد.

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موقف ملكة سبأ من كتاب سليمان

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَنَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(النمل: ٢٩ - ٤٤)

جمال المعنى

هذه الآيات لصيقة الصلة بما قبلها، وإنما فصلت هنا ليسهل تناولها فهى فى بيان الحالة التى استقبلت فيها بلقيس الكتاب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هنا وصل الكتاب إلى الملكة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب ففتحته وقرأته فإذا فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠)، ووصفت الكتاب بأنه كريم، لأنه من عند عظيم فى نفسها ونفوسهم فعظمته إجلالًا لسليمان، أو لأنه مطبوع عليه بالخاتم فكرامة الكتاب ختمه.

ومن هنا اتفقوا على كتابة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠)، فى أول الكتب والرسائل، وعلى ختمها، لأنه أبعد من الريبة، وعلى هذا جرى الرسم به، وبه جاء الأثر عن عمر بن الخطاب أنه قال: أيما كتاب لم يكن مختومًا فهو أغلف[1].

فلما علمت أن الأمر خطير، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها، وكبار رجال دولتها، ثم قالت لهم: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ (النمل: ٢٩ - ٣١)، أى موحدين طائعين مستسلمين تشير الآية إلى قوة الملك والسلطان.

ولهذا لم ثبت فى الأمر بل استشارت الكبراء والوزراء، لأنها شعرت أن هذا الكتاب لا يصدر إلا من ملك عظيم له عزة ومنعه، وسلطان وقوة، فقالت: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢).

أى ما كنت لأبرم قضاء دون مشورتكم ورأيكم وخاصة فى هذه النازلة الكبرى، فراجعها الملأ بما يقر عينها، من إعلامهم إياها بالقوة واليأس، ثم سلموا الأمر إليها، لتبدى رأيها، وهى محاورة حسنة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ١٢٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى هذه الآية دليل على صحة المشاورة، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقد مدح الله الفضلاء بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الشورى: ٣٨).

والمشاورة من الأمر القديم وخاصة فى الحرب، فهذه بلقيس امرأة جاهلية تعبد الشمس ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢)، لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيموا أمرهم، وإمضاءهم على الطاعة، لها، إأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم كان ذلك عونًا لعدوهم عليهم.

وإنما أجابوها بقولهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣).

أرجعوا المشورة والرأى إليها بعد أن أظهروا قوتهم وشدة بأسهم، فلما أحست منهم الميل إلى الحرب، شرعت فى تزييف رأيهم، وتنبيههم إلى خطئهم فى التعجل فى الحكم دون روية.

وفى هذا الكلام خوف على قومها، وحيطة واستعظام لأمر سليمان فقالت: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤).

قالت لهم: إنى أخشى أن نحاربهم فلا نقدر عليهم فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه، ويخلص إلىّ وإليكم الهلاك والدمار، وإن عادة الملوك إذا استولوا على بلدة قهرًا خربوها وأهانوا أشرافها وأذلوهم بالأسر.

وهذه عادتهم فى كل بلدة يدخلونها عنوة ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإني سأبعث إليهم بهدية عظيمة، فإن قبل الهدية فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبى صادق فاتبعوه.

وقد كان النبى ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، ولا يقبل الصدقة. أوردها علامة على ما فى نفسها، لأنه قال لها فى كتابه: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣١)، وهذا لا تقبل فيه فدية ولا تؤخذ منهم هديه[١].

وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد، وعلى كل حال، ما لم يكن من مشرك، والهدية مندوب إليها، وهى مما تورث المودة، وتذهب العداوة فقد روى عن النبى ﷺ: «تصافحوا يذهب الغِلّ، وتهادوا تحابوا تذهب الشحناء»[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو شق فرسن شاة[٣]».

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (النمل: ٣٦).

فلما جاء رجل بلقيس إلى سليمان بالهدية العظيمة، وكانت آنية من ذهب فلم ينظر إليها، بل أعرض عنها، وقال منكرًا عليهم: أتصانعونى بالمال والهدايا لأترككم على كفركم وشرككم؟! فما أعطانى الله من النبوة والملك والجنود، خير مما أعطاكم من زينة الدنيا، بل أنتم تفرحون بمثل هذه الهدايا لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة فى الدنيا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى: ١٣ / ١٣٢.

(٢) موطأ مالك ٢ / ٩٠٨ وهو عطاء بن أبى مسلم معضلا، فهو ضعيف كما فى إرواء الغليل ٦ / ٤٦.

(٣) سنن الترمذى ٤ / ٤٤١ وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه مسند أحمد ٢/ ٤٠٥ وفى إسناده أبو معشر المدنى وهو ضعيف ومعنى وحر الصدر: غشه وحقده.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال لمن قدّم الهدايا: ارجع إليهم بهديتكم، فسوف نأتيكم بجنود لا طاقة لكم بمقاتلتهم، ولنخرجنكم من مملكتكم أذلة صاغرين:

ثم تمضى بنا الآيات لتبين موقف سليمان فيما بعد ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣٨).

فلما رجعت الرسل إلى بلقيس فعرفت أن هذا ما هو بملك، وليس لها قدرة على قتاله فبعثت إليه أنى قادمة مع أشراف موسى لأنظر ما أمرك، وما هذا الدين الذى تدعونى إليه؟

فلما علم بقدومها طلب من يأتيه بعرشها ليريها بعض الخوارق التى أجراها الله على يديه، الدالة على عظم ملكه وسلطانه وصدقه فى دعوى ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل: ٣٩).

فقال رئيس الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلس الحكم وإنى على حمله قوى أمين على ما فيه من الجواهر[١]. ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾ (النمل: ٤٠).

فقال له آصف بن برخيا كاتب سليمان أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك بصرك. أى آتيك به بلمح البصر، قبل أن تفتح عينك ثم تغمضها، وهذا غاية فى الإسراع ومثل فيه.

وأكثر المفسرين على أنه: آصف بن برخيا، وكان صدّيقًا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ثم قام هذا الرجل الصالح فتوضأ ودعا الله، فإذا بعرش بلقيس بين يديه[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ١٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٣٦ وإسناده ضعيف فيه محمد بن إسحاق لم يصرح بالسماع).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما عاين سليمان ذلك ورآه مستقرا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)، إنها معجزة أخرى لسليمان إذا كيف يأتى بهذا العرش، وقد خبأته فى قصرها، وعليه من الحراس ما شاء الله، وكيف له ذلك والمسافة بين المقدس واليمن ليست بالقصيرة؟

فما كان من سليمان إلا أن توجه بالشكر لملك الملوك الذى هو غنى عنى عباده وعبادتهم، وهو كما قال موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٨).

وكما جاء فى الحديث القدسى: يقول الله تعالى: «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقصى ذلك من ملكى شيئا، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه[1].

ولما جىء سليمان بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل:٤١)، غيروا بعض أوصافه وهيئته كما يتنكر الإنسان حتى لا يعرف، لينظر هل تعرف أنه عرشها أم لا! ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ (النمل: ٤٢)، عرض عليها عرشها،

(١) صحيح مسلم ٤ / ١٩٩٤ح ٢٥٧٧. مسند أحمد ٥ / ١٦٠.
المستدرك على الصحيحين ٤ / ٢٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد غير، ونكر، ويزيد فيه، ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لُبّ، ودهاء، وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير وبدل ونكر.

فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ (النمل: ٤٢)، أى يشبهه ويقاربه، وهذا غاية فى الذكاء والحزم(١).

ثم قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٤٢)، لقد أعطانا الله العلم والإسلام قبلها، فنحن أسبق منها علمًا وإسلامًا، وقد منعها من عبادة الله وحده أنها كانت تعبد الشمس والقمر لسبب نشوئها بين قوم كافرين، وهذا كالاعتذار لعبادتها الشمس من دون الله.

أمر سليمان الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير، أى: من زجاج وأجرى تحته الماء، فالذى لا يعرف أمره أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبنيه، ثم قال لها: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ (النمل: ٤٤)، أى: القصر، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ (النمل: ٤٤).

فلما رأت ذلك القصر الذى هو أعظم من ملكها ظنته لجة ماء فشمرت عن ساقيها ظنا منها أنه ماء ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (النمل: ٤٤).

فلما توهمته ماء وليس بماء، وإنما هو قصر أملس، مصنوع من الزجاج الصافى فلما عانيت تلك المعجزة قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤)، فأسلمت وحسن إسلامها، وإنما اتخذ سليمان هذا القصر العظيم، ليريها عظمة سلطانه وتمكنه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ١٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصرت فى أمره، وانقادت لأمر الله وعرفت أنه نبى كريم وملك عظيم فأسلمت لله عز وجل[١].

❁ ❁ ❁

موت سليمان عليه السلام

يذكر القرآن كيفية موت سليمان وكيف أخفى الله موته على الجان المسخرين له فى الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته ، وظل متوكئا عليها مدة عام، فلما أكلتها دابة الأرض، وهى الأرضة، ضعفت وسقط على الأرض، وعلم الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة.

فيقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سبأ: ١٤).

ففى الآية دليل على أن الجن لا يعلمون الغيب، إذ لو كانوا يعلمونه ما ظلوا فى السخرة هذه المدة الطويلة بعد موت سليمان إذ كانوا مسخرين فى بناء المسجد الأقصى، ولم يكتمل هذا البناء إلا بعد موت سليمان، بسنة كما ذكر المفسرون.

قال ابن مسعود: (ظل حولا والجن تعمل بين يديه حتى أكلت الأرض منسأته فقط، فلما سقط لم يعلم منذ متى مات، فوضعت الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة[٢].

قال القرطبى: وحكى أن سليمان ابتدأ بنيان بيت المقدس، وهو ابن عشرين

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦ / ١٢٤. إسناده حسن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٧٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سنة، وكان مدة ملكه خمسين سنة وابتدأ بنيان بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملكة، وقرَّب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور، ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذى فرغ فيه من بنائه عيدًا.

وقام على الصخرة رافعًا يده إلى الله تعالى بالدعاء فقال: اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان، وقويتنى على بناء هذا المسجد، اللهم فأوزعنى شكرك على ما أنعمت علىّ، وتوفنى على ملتك، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، اللهم إنى أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وثبت عليه، ولا خائفًا إلا أمنته، ولا سقيما إلا شفيته، ولا فقيرا إلا أغنيته، والخامسة: ألا تصرف نظرك عن من دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادًا، أو ظلما يا رب العالمين[1].

وهذا أصح ما تقدم أنه لم يفرغ من بنائه إلا بعد موته بسنة، والدليل على صحة ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: «أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالًا ثلاث: حكمًا يصادف حكمه فأديته، وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه حتى يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه[2]».

وهكذا نجد أن أولئك الجن الذين يعبدهم بعض الناس هؤلاء هم سخرة

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٨٠.
(٢) سنن النسائى ٢ / ٣٤ ح ٦٩٣.
سنن ابن ماجه ١ / ٤٥٢ ح ١٤٠٨.
والمستدرك على الصحيحين ١ / ٨٤ ح ٨٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعبد من عباد الله. وهؤلاء محجوبون عن الغيب القريب، وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد.

❁ ❁ ❁

هدايـــــات

- اختصاص سليمان من النعم العظيمة؛ لبيان عطاء الله غير مجذوذ، وإظهار فضيلة سليمان.
- الحث على التواضع والافتقار إلى الله قصدًا.
- فضيلة ملكة سبأ ومسارعتها إلى الإسلام فور ظهور الدلائل والبينات وهكذا شأن المنصف العاقل.
- ثبوت الكرامة للمؤمنين الصادقين. وأن الله يظهر على أيدى عباده ما يشاء مما فيه خير لهم، وللناس أجمعين.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة صالح عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (النمل: ٤٥ - ٥٣)

تمهيد

بعد أن أفاضت السورة فى ذكر ما خص الله به نبيه الكريم سليمان بن داود الذى وهبه الله الملك والنبوة، والذى جعل من الملك وسيلة للدعوة إلى الله، والتبشير بدينه، وما كان من أمره مع ملكة سبأ بلقيس التى أسلمت مع قومها بدعوة الملك النبى الصالح سليمان ذكر سبحانه قصة نبى الله صالح مع قومه ثمود حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده فانقسموا إلى فريقين مؤمن وكافر.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إجمـــال المعنـــى

وهذه هى القصة الثالثة فى هذه السورة الكريمة، وقـد ذكـرت هنا بإيجـاز دون تفصيل؛ لأن الغرض من القصص العظة والاعتبار والتذكـير والإنـذار، وبيان سنة الله فى إهلاك المكذبين.

كـذلك لخصـت قصـة صـالح فى حقيقـة واحـدة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ (النمل: ٤٥)، فهذه هى القاعدة التى تركزت عليها رسالـة السمـاء إلى الأرض فى كل جيل، ومع كل رسول، وهـذا هـو المناسـب للجـو العـام للسـورة، فهـى إحدى السور المكية التى تحدثت عن وحدانية الله تعـالى فيقـول سـبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (النمل:٤٥-٤٧).

وثمود قبيلة من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل وكانت ثمـود بعـد عـاد، ومساكنهم مشهورة بين الحجاز والشام إلى وادى القرى وما حوله.

وقد مرّ الرسول ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهـب إلى تبـوك فى سنـة تسع[1]. فعـن عبد الله بن عمر قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبـوك نـزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستسقى الناس من الآبار التى كانت تشـرب منهـا ثمود، فعجنوا منها وتصبوا لها القدور فأمرهم النبى ﷺ فأهرقوا القـدور وعلفـوا عجين الإبل، ثم ارتحل بهم، حتى نزل بهم على البئر التى كانـت تشـرب الناقـة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذّبوا وقال : أن يصـيبكم مثـل مـا أصـابهم فلا تدخلوا عليهم[2]».

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٩.

(٢) صحيح البخارى ٤ / ١٧٣٧ح ٢٤٢٥. صحيح مسلم ٤ / ٢٢٨٦ح ٢٩٨٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد دعاهم صالح إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهى دعوة المرسلين جميعًا قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ (النحل: ٣٦)، فلما دعاهم صالح عليه السلام إلى عبادة الله وحده سألوه أن يأتيهم بآية فقال لهم: قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به وكانوا هم الذين اقترحوا عليه بأن تخرج لهم من صخرة عينوها بأنفسهم وهى صخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاتبة فطلبوا منه أن تخرج لهم ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لإن أجابهم إلى سؤالهم، وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنن به وليتبعنه.

فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح إلى صلاته، ودعا الله عزوجل فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت تلك الصخرة عن ناقة جوفاء وبْرَاء فآمن به رئيسهم وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم(١).

وأقامت تلك الناقة وفصيلها بعدما وضعته بين أظهرهم مُدَّة تشرب من بئرها يومًا، وتدعُه يومًا، وكان يشربون لبنها يوم شربها يملأون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم قال تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ (القمر: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ (الشعراء: ١٥٥).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٧٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت تلك الناقة خلقًا عظيمًا، ومنظرا رائعًا إذا مرت بأنعامهم نفرت منها، فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبى عليه السلام عزموا على قتلها ليستأثروا بالماء كل يوم.

فيقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ (الشمس: ١٤).

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ (الإسراء: ٥٩).

فدل ذلك على رضا الجميع بذلك فكأنهم عقروها جميعا[1].

وقد أنعم الله على ثمود نعمًا عظيمة فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا عظيمة تناسب أعمارهم الطويلة هذا إلى جانب الزرع والنخيل والخبات التى كانوا يعيشون فى رغدها فيقول سبحانه : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (الشعراء: ١٤٦ - ١٤٩).

ومع كل هذه النعم لم يؤمنوا فأحيانا **ينسبونه إلى السحر** فيقول سبحانه: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء: ١٥٣- ١٥٤).

وتارة **يسخرون منه** فيقول سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (هود: ٦٣).

وتارة **يستهزؤون بأتباعه** فيقول سبحانه: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٥ - ٧٦).

---

(١) المرجع السابق: ٣ / ٢٧٠ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتارة **يتشاءمون منه** فيقول سبحانه: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ (النمل: ٤٧).

فكانوا يظنون أنه سبب ما حل بهم من قحط وجوع فيتشاءمون منه ومن أتباعه فأمره الله عز وجل أن يقول لهم: طائركم عند الله فليس ما حل بكم من بلاء بسببنا، بل هو بشؤم أعمالكم وبكفركم وإجرامكم، فليس لنا دخل فيه فإن الله كتب الشفاء والبلاء على من كفر وكذب بآيات الله، وهذا كما حكى القرآن عن قوم فرعون: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ (الأعراف: ١٣١).

وكما حكى كذلك عن كفار مكة عندما تشاءموا بالنبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ (النساء: ٧٨)، وحتى هذه اللحظة ترى الذين يهربون من الإيمان بالله ويستنكفون أن يكلوا الغيب إليه لأنهم قد انتهوا إلى حد من العلم لا يليق معه إلى خرافة الدين!

هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ولا بدينه ولا بغيبه، نراهم يعلقون أهمية ضخمة على رقم ١٣ وعلى مرور قط أسود يقطع الطريق أمامهم إلى آخر هذه الخرافات الساذجة ذلك أنهم يعاندون حقيقة الفطرة .

فلما قالوا ذلك رد عليه صالح بأن حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله، والله قد سن سننا وأمر الناس بأمور، وبين لهم الطريق المنير.

فمن اتبع سنة الله وسار على هداه فهذا هو الخير بدون حاجة إلى زجر الطير، ومن انحرف عن السنة وحاد عن الطريق المستقيم فهذا هو الشر بدون حاجة إلى زجر الطير .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم تخبرنا الآيات بعد ذلك عن طغاة ثمود ورؤوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلاله والكفر، وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهموا بقتل صالح.

وقد وصفهم القرآن بأنهم أشقياء، فيقول سبحانه: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ (الشمس: ١٢)، فيقول سبحانه: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ (النمل: ٤٨)، فقد اتفق هؤلاء الأشقياء الذين عقروا الناقة وهم الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ ﴾ (النمل: ٤٨)، أى تسعة أشخاص حلفوا بالله بأن يبيتوه فى أهله، ويقتلوه ليلا غيلة، ثم ينكروا أمر القتل، ولكن الله تعالى العليم الخبير كان لهم بالمرصاد.

فقد أهلك هؤلاء الطغاة المجرمين، بالصيحة بحجارة، ودمرهم بها، ونجا صالحاً ومن كان معه من المؤمنين فيقول سبحانه: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل: ٥٠ - ٥١).

فقد جعل الله عليهم الدائرة: (ويروى أنهم بعدما عقروا الناقة قالوا: هلموا فلنقتل صالحًا، فإن كان صادقًا فقد عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله، فقذفتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا فنزل صالح فوجدوهم قد رموا بالحجارة وماتوا.

فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم توهموا به فقامت عشيرته دونه، ولبسوا السلاح، فقالوا لهم: والله لا تقتلوه أبدًا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث، فإن يك صادقا فلا تزيدوا رأيكم غضبا، وإن كان كان كاذبًا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم[1].

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكن الله من ورائهم محيط جعل تدميرهم فى تدبيرهم فيقول سبحانه: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل: ٥٠)، فمكرهم معروف وهو ما أخفوه من تدبير القتل لصالح وأهله، ومكر الله: إهلاكهم من حيث لا يشعرون[١].

فلما دبروا قتل صالح أرسل الله الملائكة عليهم رضختهم بالحجارة قبل قولهم وأصبح ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح، وأصبحوا فى اليوم الثانى من أيام التأجيل وجوههم محمرة، وأصبحوا فى اليوم الثالث وجوههم مسودة.

ثم أصبحوا فى اليوم الرابع منتظرين لعذاب الله – عياذا بالله تعالى من ذلك – لا يدرون ما يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب.

ولما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من العذاب من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت أرواحهم وزهقت النفوس فى ساعة واحدة يقول سبحانه: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾[٢] (الأعراف: ٧٨).

وقال سبحانه: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (هود: ٦٧ – ٦٨)، وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الحجر: ٨٣ – ٨٤)، فما أغنى عنهم ما كانوا يستغلونه من زروع ونخيل، وبيوت فارهة ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل: ٥١)، فانظر يا محمد إلى أولئك الظالمين كيف ومرهم الله عز وجل، فأصبحت بيوتهم خربة، بعد أن كانت عامرة، فما أغنى

(١) الكشاف ٣ / ٣٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عنهم شيئًا من عذاب الله تعالى لما جاء أمرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٥٢).

وهكذا ختمت الآية بالعلم الذى ركزت عليه السورة فى أكثر من آية فى مضمونها، ثم يأتى المشهد المقابل لهلاك الظالمين، وهو النجاة للفريق المؤمن فيقول سبحانه: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل: ٥٣)، نجا الله صالحا ومن آمن معه ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦).

هذه قصة قوم صالح سيقت للعظة والاعتبار حيث بينت عاقبة الذين كادوا لنبيهم وأرادوا الإيقاع به، لكن الجليل العليم حال دون ما يريدون، فكان تدبير الله لهم أدق وأسرع من كيدهم.

وهكذا يكون العقاب الأبلغ فى المجرمين.

❁ ❁ ❁

هدايـــــة

- أن الله ينصر عباده المؤمنين من الأنبياء والصالحين، ولو بعد حين ويفرج عنهم من حيث لا يحتسبون.

- عاقبة الظلم وخيمة، ولو تأخرت عقوبة الظالمين فإنها واقعة بهم لا محالة.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة لوط عليه السلام

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (النمل: ٥٤ - ٥٨)

تمهيد

بعد أن ذكر الله عز وجل قصة ثمود وتكذيبهم لنبى الله صالح عليه السلام وما آل إليه مصيرهم من الهلاك والتدمير، مضت الآيات بعد ذلك لتذكر خاصة قوم لوط عليه السلام فى عجالة قصيرة أيضا وذلك على سبيل العظة والاعتبار لقريش الذين كذبوا النبى ﷺ حتى يعتبروا بما حدث للأمم السابقة.

إجمال المعنى

وهذه الحلقة القصيرة من قصة لوط تجىء مختصرة يبرز فعل قوم لوط بإخراجه لأنه أنكر عليهم الفاحشة الشاذة التى كانوا يأتونها عن إجماع واتفاق وتعارف وعلانية.. فاحشة الشذوذ الجنسى بإتيان الرجال، وترك النساء، على غير الفطرة التى فطر الناس عليها بل عامة الأحياء، وهى ظاهرة غريبة فى تاريخ الجماعات البشرية، فقد يشذ أفراد لأمراض بشرية، أو لأسباب مرضية نفسية، أو لملابسات وقتية فيميل الذكور لإتيان الذكور، وأكثر ما يكون هذا فى معسكرات الجنود حيث لا توجد النساء، أو فى السجون التى يقيم فيها المسجونون فترات طويلة معرضين لضغط الميل الجنسى، محرومين من الاتصال بالنساء، أم أن يشيع هذا الشذوذ فيصبح هو القاعدة فى بلد بأسره، مع وجود

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النساء، وتيسير الزواج، فهذا هو الحادث الغريب حقا فى تاريخ الجماعات البشرية .

لقد حصل الله من الفطرة ميل الجنس إلى الجنس الآخر، لأنه جعل الحياة كلها تقوم على قاعدة الزواج، فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس: ٣٦).

فجعل الأحياء كلها أزواج: سواء النبات، والإنسان، وما لا نعلمه.

ولما كان التزاوج هو ناموس الكون، فقد جعل التجاذب بين الزوجين هو الفطرة التى لا تحتاج إلى تعليم، ولا تتوقف على تفكير، ومن ثم يكون عجيبًا أن تنحرف الفطرة الإنسانية، انحرافا جماعيا، كما حدث فى قوم لوط، بدون ضرورة دافعة إلى عكس اتجاه الفطرة المستقيم، ولهذا وجههم لوط بالإنكار عليهم لهذا الفعل الشنيع فيقول سبحانه ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النمل: ٥٤ - ٥٥).

ولوط هو ابن هارون بن آزرا بن أخى إبراهيم عليهما السلام وكان قد آمن مع إبراهيم وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عزوجل ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبون من المأثم والمحارم والفواحش التى اخترعوها ولم يسبقهم إليها أحد من بنى آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شىء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله[٢].

---

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيقول سبحانه: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٠ - ٨١)، وقال منكرا عليهم فعلتهم الشنيعة: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦).

وقال سبحانه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ (العنكبوت: ٢٩).

فما كان جواب قومه أولئك السفهاء؟ كان جوابهم أقبح من الذنب: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل: ٥٦)، أى: اطردوا لوطا وأهله ومن معه من المؤمنين من بلدكم، وأخرجوهم من أوطانكم، وسبب هذا القرار الظالم أنهم أناس يتنزهون عما تفعله من إتيان الرجال فى الأدبار، عجبا لهؤلاء السفهاء!!

لقد صارت الرذيلة فضيلة فى نظرهم، وصار من لم يفعل الرذيلة مجرمًا يجب أن يعاقب بالطرد والإبعاد عن وطنهم، وصارت النجاسة طهارة، والقذارة شرفا يفخر به الإنسان، هذا هو منطق السفهاء فى كل زمان ومكان، يسخرون ممن يتجنب القاذورات، والموبقات، ويعدونه متخلفا (رجعيا) لأنه لايساير الناس فى أهوائهم، وأما من غرق فى الفسوق والمجون إلى الآذان، وسقط إلى درجة الحيوان فهو الإنسان الألمعى المتقدم الذى يسمونه تقدميا، وماأكثر ما نسمع فى عصرنا من يسخر من الشباب المسلم المتمسك بدينه، المحافظ على آداب الإسلام الذى أبى الانحراف مع الشهوات الدنيئة من نساء وخمور وفجور، ويعيذهم من البُله الذين لم يعرفوا طعم الحياة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويصفونهم بألفاظ قبيحة يقولون: إنهم رجعيون متأخرون متزمتون، تمامًا كما قال قوم لوط عن المؤمنين الشرفاء ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٦).

فما أشبه الليلة بالبارحة، وقد كانت عاقبة قوم لوط وخيمة، فقد دمّر الله ديارهم، وقلب عليهم مساكنهم، فجعل عاليها سافلها، وأرسل عليه حجارة من السماء، المطر الزاخر، فأهلكهم عن بكرة أبيهم.

فلم تبق منهم عين تطرف، ولم يبق لهم ذكر ولا أثر، وجعل الله عذابهم عبرة لمن اعتبر فيقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢ - ٨٣)، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات كما يقول سبحانه: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ (النجم: ٥٣).

قال السدى: لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبعة أرضين فحملها حتى بلغ بها السماء، فسمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم، وأصوات مواكبهم، ثم قلبها فقتلهم، ومن لم يمت منهم أمطر الله عليهم الحجارة فقتلهم[1].

ونجى الله عزوجل لوطًا وأهله إلا امرأته كانت مع أولئك الهالكين، وذلك لأنها كانت مع قومها على زوجها، وكلما جاء ضيف كانت تخبر قومها ليأتوا الضيفان ليراودوهم عن أنفسهم كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ (هود: ٧٨).

ونجى الله لوطا ومن معه من المؤمنين فيقول سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل:٥٧)، أى الهالكين قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (الذاريات: ٣٥-٣٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أمر الله لوطا أن يسير بأهله ليلا، ويمشى هو خلفهم، ليكون أحفظ لهم فيقول سبحانه: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الحجر: ٦٥ - ٦٦).

وهكذا كانت نهاية قوم لوط هذه النهاية الأليمة جزاءًا وفاقًا على فعلتهم القبيحة.

لذلك كانت عقوبتهم فى الحدود الإسلامية أليمة جدًّا.

واختلف السلف والأئمة فى عقوبة اللائط:

- فذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.
- ويرى الشافعى أنه يرجم بالأحجار سواء كان محصنا أم لا[(١)].
- والأولى قتله. والحجة فى ذلك ما روى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[(٢)].

❁ ❁ ❁

هداية

- دعوة جميع الأنبياء متوافقة مع الفطرة، فلا يأمرون إلا بما هو طيب فطري، كما لا ينهون إلا عما تتجنبه الفطرة المستقيمة.
- أصحاب الفواحش إذا أعلنوها وتوافقوا عليها إستحقوا عذاب الله عليهم.
- الشذوذ انحراف، واتباع للشهوات المحرمة، ينبغى على أولى الأمر محاربة، لأنه ينزلق بالمجتمعات إلى الهاوية. وينأى بالمجتمعات عن الفضيلة.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٧٨.

(٢) مسند أحمد ١ / ٣٠٠ ح ٢٧٢٧. شعب الإيمان ٤ / ٣٥٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البراهين الدالة على وحدانية الله

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النمل: ٥٩ - ٦٦)

هذه الآيات تبدأ بحمد الله وبالسلام على من اصطفاهم من عباده من الأنبياء والرسل، ومنهم الذين ورد قصصهم من قبل، يفتتح ذلك بالحمد وهذا السلام جولة عن العقيدة، جولة فى مشاهد الكون وأغوار النفس، وأطواء الغيب، وفى أشراط الساعة، ومشاهد القيامة، وأهوال الحشر، الذى يفزع لها من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .

وفى هذه الآيات يوقفهم أمام مشاهدات فى صفحة الكون وفى أطوار النفس لا يملكون إنكار وجودها، ولا يملكون تعليلها بغير التسليم بوجود الخالق

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبحانه ويتوالى عرض هذه المشاهدات فى إيقاعات مؤثرة تأخذ عليهم أقطار الحجة وأقطار المشاعر، وهو يسألهم أسئلة متلاحقة: من خلق السموات والأرض؟ من أنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة؟

من جعل الأرض قرارا؟

وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزًا؟

من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء؟ من يجعلكم خلفاء الأرض؟

من يهديكم فى ظلمات البر والبحر؟

ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدى رحمته؟ ومن يبدأ الخلق ثم يعيده؟

من يرزقكم من السماء والأرض؟

وفى كل مرة يقرعهم بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠).

وهم لا يملكون بهذه الدعوى أن يقولوا: إن إلها مع الله يفعل كل شىء، وهم مع هذا يعبدون أربابًا من دون الله .

ثم تعرض الآيات مشهد الحشر وما فيه من هول وفزع، ويرجع بهم فى ومضة خاطفة إلى الأرض، ثم يردهم إلى الحشر، وكأنها تهز القلوب هزا عنيفًا، ثم فى النهاية يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم بعد أن قدّم الأدلة والبراهين على وحدانية الله ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٩١).

ثم يختم الجولة بالحمد لله كما ابتدأ بالحمد له وحده، ويتركهم وآيات الكون ومشاهده التى تدل على وحدانية الله وربوبيته ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البرهان الأول: فبعد أن ذكر الحق تبارك وتعالى قصص المرسلين مع أقوامهم، وما لا قوة من إيذاء وتكذيب، وصبرهم فى تبليغ الدعوة إليهم، أثنى الله عز وجل عليهم هذا الثناء العاطر، وخصهم بالسلام والإكرام عن رب العزة والجلال، لنبيه على فضلهم وعظيم أجرهم فقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩)، تهكم وسخرية وتقريع وتوبيخ لأولئك المشركين الضالين فى عبادتهم مع الله آلهة أخرى، هى جمادات، لا تسمع ولا تنفع، ولا تغنى عن عابديها شيئًا فيقول سبحانه: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩)؟

هل المبدع الحكيم خير أم الأوثان التى عبدوها من دون الله؟

وهل فيها من صفات إله الحق ما تستحق به أن يسوى بينها وبنيه فى الألوهية والربوبية؟ وهو تهكم لاذع فيه سخرية واستهزاء بعقول المشركين لا يطلب منهم الجواب ولا يريد غيره لأنهم كانوا مقرين بأن هناك إلها خالقًا لهذا الكون، ولكنهم أشركوا معهم غيره فيقول سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف: ٨٧)، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٣)، فهم معترفون بأنه سبحانه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ثم يسوق سبحانه الدلائل الصارخة من الكون على وحدانيته وقدرته على الخلق والإيجاد، وهى مشاهد يرونها بأعينهم حتى يجعلهم يقروا بأنه الخالق الواحد وهذا دائما هو أسلوب القرآن الكريم فى خطاب المشركين، يسوق الدائل فى صورة استفهام إنكارى توبيخى، فنجده فى سورة المؤمنون قوله جل وعلا: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ - ٨٩).

فها هو يأمر بالتفكر فى الكون حتى يجعلهم يقروا بأنه لا خالق، ولا مبدع إلا الله سبحانه وتعالى فيقول: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (القصص: ٧١ - ٧٢).

فيأمرهم بالتبصر فى أحوالهم، والله جعل الليل ليسكنوا فيه، والنهار للمعاش فكيف بهم إذا انقلب الأمر، وصار النهار دائما أو الليل والنهار دائما يقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (السجدة: ٢٧).

فيأمرهم بالنظر فى الماء الذى يسوقه الله إلى الأرض اليابسة الجامدة التى لا نبات فيها. ويقول سبحانه ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ: ٢٤).

فمن ذا الذى يرزقكم من السموات والأرض؟ من الذى يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السموات والأرض ومن المطر ومن الشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع؟ ومن الأرض من الماء والنبات؟ فلا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آلهتنا؟ وهكذا نجد أن هذا هو نهج القرآن عندما يخاطب المشركين يقدم لهم البراهين الدالة على وحدانية الله وواقع كما فى هذه السورة فقدم هنا خمسة براهين على وجوده سبحانه ووحدانيته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما الأول: فيقول سبحانه ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ (النمل: ٦٠)، فالسموات والأرض حقيقة قائمة لا يملك أحد إنكارها، ولا يملك كذلك أن يدعى أن هذه الآلهة المدعاة خلقتها، وهى أصنام أو أوثان، أو ملائكة وشياطين، أو شمس أو قمر، فالبداهة تصرخ فى وجه هذا الادعاء، ولم يكن أحد من المشركين يزعم أن هذا الكون قائم بذاته كما وجد من يدعى مثل هذا الادعاء المتهافت فى القرون الأخيرة .

فكان مجرد التذكير بوجود السموات والأرض، والتوجه إلى التفكر فيمن خلقها كفيلا بإلزام الحجة ودحض الشرك وإفحام المشركين، وما يزال هذا السؤال قائما، فإن خلق السموات والأرض الذى يبدو فيه القصد ويتضح فيه التدبير، ويظهر فيه التناسق المطلق الذى لا يمكن أن يكون مصادفة ملجئ بذاته إلى الإقرار بوجود الخالق الواحد الذى تتضح وحدانيته بآثاره .

ثم يقدم لهم لمحة أخرى من واقعهم أيضا، وهو الماء النازل من السماء وهو أمر مشاهد ملموس، ولا يمكن لأحد أن ينكره، فهو يوجه قلوبهم وأبصارهم إلى آثار ذلك الماء ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ (النمل: ٦٠).

لقد أنبت الله لكم الحدائق الجميلة التى تسر الناظر وتبعث فى نفسه البهجة والنشاط فتأمل هذه البهجة والجمال الناضر الحى الذى يبعثها كفيل بإحياء القلوب وتدبر آثار الإبداع فى الحدائق كفيل أيضا بتمجيد الصانع الذى أبدع كل شىء خلقه.

فإن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون من البشر، وإن تمود الألوان، وتداخل الخطوط، وتنظيم الوريقات للزهرة الواحدة ليبدو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن فى القديم والحديث فضلا عن معجزة الحياة النامية فى الشجر، وسر الحياة لا يزال مستغلقًا على الناس، سواء فى النبات أم فى الحيوان أم فى الإنسان . فمع التطور العلمى الهائل لا يستطيع البشر أن يقفوا على حقيقة الحياة وسرها.

قال القرطبى: وقد يستدل بهذه الآية على منع التصوير لشىء كان له روح أم لم يكن، وهو قول مجاهد(٢).

ويعضده قوله ﷺ : «قال الله عز وجلّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقًا كخلقى، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة (٣).

فعمم بالذم والتهديد والتقبيح كل من تعاطى تصوير شىء مما خلقه الله وضاهاه فى التشبيه فى خلقه..

وقد ذهب الجمهور: إلى أن تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو والاقتباس منه.

وقد قال ابن عباس للذى سأله أن يصنع بالصور: إن كنت لابد فاعلًا فاصنع الشجرة، وما لا نفس له(٤).

ثم يهجم عليهم بالسؤال ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠)؟

أإله مع الله يستحق العبادة، لا مفر من الإقرار له بالوحدانية، ومع هذا هم يُسوّون آلهتهم المدعاة بالله سبحانه فيعبدونها من دون الله جل وعز ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل: ٦٠).

---

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٤٧.

(٣) صحيح البخارى ٦ / ٢٧٤٧ح ٧١٢٠.

صحيح مسلم ٣ / ١٦٧١ح. مسند أحمد ٢ / ٢٣٢.

(٤) صحيح مسلم ٣ / ١٦٧٠ح ٢١١٠. مسند أحمد ١ / ٣٨٠ح ٢٨١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البرهان الثاني: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٦١).

ثم ينتقل بهم إلى حقيقة كونية أخرى، وهى الهيئة التى خلق الله عليها الأرض لتكون صالحة للحياة مستقرة ثابتة لا تتحرك، وجعل لها وضعًا معينا من الشمس والقمر بحيث لو تغير وضعها، أو تغير شكلها، أو تغيرت عناصرها المحيطة بالجو بها، أو تغيرت سرعة دورانها حول نفسها، أو حول الشمس، أو حول القمر، لو تغير شيء من هذا لما كانت الأرض صالحة للحياة.

وربما لم يكن المخاطبون إذ ذاك يدركون من قوله: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ (النمل: ٦١)؟ كل هذه العجائب، ولكنهم كانوا يرون الأرض مستقرة صالحة للحياة على وجه الإجمال ولا يملكون أن يدعوا أن أحدًا من آلهتهم كان لهم شرك فى خلق الأرض على هذا المنوال.

وهكذا نجد أن النَّص بقى بعد ذلك مفتوحًا للأجيال، وكلما اتسع علم البشر أدركوا شيئًا من معناه الضخم المتجدد على توالى الأجيال، وتلك معجزة القرآن فى خطابه لجميع العقول، على توالى الأزمان، فهو صالح لكل زمان ومكان .

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ (النمل: ٦١)، أى: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقها فى خلالها وصرفها فيها، ما بين أنهار كبار وصغار، وبين ذلك، وسيرها مشرقا وغربا وشمالا وجنوبًا، بحسب مصالح عباده فى أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم فى أرجاء الأرض، وسيّر لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ (النمل: ٦١)، ثم هو سبحانه بعد أن خلق الأرض وجعل فيها الأنهار جعل فيها الرواسى، وهى: الجبال الشامخات التى تثبت الأرض، وتحافظ عليها من أن تميد بمن فيها، ثم بعد ذلك تذكر الآية مشهدًا آخر من مشاهد الكون ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (النمل: ٦١)، أى: جعل بين البحر الملح الأجاج، والنهر العذب الفرات، مانعًا يمنعهما من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بهذا، وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضى بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس، والمقصود منها أن تكون عذبة ذلالًا، يسقى الحيوان والنبات والثمار منها.

والبحار المالحة هى المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها: أن يكون ماؤها مالحًا أو ملحًا أجاجًا لئلا يفسد الهواء بريحها[1] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠) ؟

وما يملك أحد أن يدّعى هذه الدعوى، ووحدة التصميم أمامه تجبره على الاعتراف بوحدة الخالق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥)، وهنا يذكر العلم لأن هذه الحقيقة الكونية تحتاج إلى العلم لتتدبر السنة فيها والناموس، ولأن التركيز فى السورة كلها على العلم .

البرهان الثالث: ثم تنتقل الآيات من مشاهد الكون إلى خاصة أنفسهم:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، فيلمس وجدانهم وهو يذكرهم بخوالج أنفسهم وواقع أحوالهم،

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمضطر فى لحظات الكرب والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله، يدعوه ليكشف عنه حاجه من ضُرّ، فهو سبحانه المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧).

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ (النحل: ٥٣)، وهو هنا يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢)، من الذى لا يلجأ المضطر إلا إليه.

فالمضطر فى لحظات الضيق لا يجد مأوى، ولا ملجأ إلا إلى الله، حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وينظر الإنسان فلا يجد أسبابًا للخلاص والنصر، ولا قوة فى الأرض تنجده، وكل ما كان يعده لساعة الشدة تخلى عنه.

فى هذه اللحظة، فتستيقظ فيه الفطرة ويلجأ إلى الله الذى هو وحده القادر على أن يكشف ضره.

فعن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى دعاء المضطر: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت[1]».

وقد ضمن الله تعالى دعوة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، والسبب فى ذلك أن الضرورة إليه باللجوء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عمن سواه، وللإخلاص عنده موقع وذمة، وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس: ٢٢).

---

(١) سنن أبى داود ٤ / ٣٢٤ح ٥٠٩٠.

صحيح ابن حبان ٣ / ٢٥٠ ح ٩٧٠. المستدرك على الصحيحين ١ / ٧٣٠ ٢٠٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم مع علمه سبحانه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥).

وكذلك يجيب دعوة المظلوم فقد قال لمعاذ حين وجهه رسول الله ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب»[(١)].

وقال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[(٢)].

فالمظلوم مضطر، ويقرب منه المسافر لأنه منقطع عن الأصل والوطن منفردًا عن فالمظلوم مضطر، ويقرب منه المسافر لأنه منقطع عن الأهل والوطن منفردًا عن الصديق والحميم، لا يسكن قلبه إلى مسعد، ولا معين لغربته، وتصدق ضرورته إلى المولى فيخلص إليه فى اللجاء، وهو المجيب للمضطر إذا دعاه، وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من حنانه عليه وسفقته إلا عند تكامل عجزه عنهم، وصدق ضرورته وإياسه من بر ولده مع وجود إيذائه، فيسرع الحق تبارك وتعالى إلى إجابته[(٣)].

ثم يلمس مشاعرهم بما هو واقع فى حياتهم فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، يخلف قرنًا لقرن قبلهم، وخلفا لسلف.

كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ (الأنعام: ١٣٣).

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٥٤٤ ح ١٤٢٥. صحيح مسلم ١ / ٥٠ ح ١٩.
(٢) سنن الترمذى ٤ / ٣١٤ح ١٩٠٥. صحيح ابن حبان ٦ / ٤١٦ح ٢٦٩٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ (الأنعام: ١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

أى: قومًا يخلف بعضهم بعضًا، وهكذا فى هذه الآية: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، أى: أمة بعد أمة، وجيل بعد جيل، وقوما بعد قوم، ولو شاء سبحانه لأوجدهم كلهم فى وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، ولكن لا يميت أحدًا حتى تكون وفاة الجميع فى وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم، ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته سبحانه وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة، ويذرأهم فى الأرض، ويجعلهم قرونا بعد قرون، وأمما بعد أمم حتى ينقض الأجل، وتفرغ البرية كما قدر ذلك سبحانه، ثم يقيم القيامة، ويوفى كل عامل عمله، إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

البرهان الرابع: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٦٣)، فالناس – ومنهم المخاطبون أول مرة بالقرآن – يسلكون فجاج البر والبحر فى أسفارهم، ويسيرون أسرار البر والبحر فى تجاربهم، ويهتدون، فمن يهديهم؟ من أودع كيانهم تلك القوى المدركة؟ من أقدرهم على الاهتداء بالنجوم وبالآيات والمعالم؟ ومن وصل فطرتهم بفطرة هذا الكون وطاقتهم بأسراره؟ من جعل لآذانهم تلك القدرة على التقاط الأصوات، ولعيونهم القدرة على التقاط الأضواء؟ أإله مع الله؟ ومن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرسل الرياح؟ ومهما قيل فى أسبابها الفلكية والجغرافية، تابعة لتصميم الكون الأول الذى يسمح بجريانها على النحو الذى تجرى به، حاملة السحب، من مكان إلى مكان، مبشرة بالمطر الذى تتجلى فيه رحمة الله وهو سبب الحياة ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٦٣).

البرهان الخامس: ثم ختم تلك البراهين بما كانوا منكرين له من إعادة الخلق فقال سبحانه: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (النمل: ٦٤)، فالله سبحانه الذى بدأ الخلق قادر على إعادته كما قال تعالى فى آية أخرى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ (البروج: ١٢ - ١٣).

أما بدء الخلق حقيقة واقعة لا يمكن لأحد إنكارها، ولا يمكن تعليلها بغير وجود الله تعالى. ووحدانيته، فوجود الكون على هذا النظام الدقيق، والتدبير المحكم، ملجئ للإقرار بوجود إله خالق واحد، وقد باءت بالفشل المنطقى كل محاولة لوجود هذا الكون على هذا النحو بغير الإقرار بوجود الله ووحدانيته.

وأما إعادة الخلق فهذه التى كانوا يحاولون فيها ويمارون.

فالإقرار ببدء الخلق على هذا النحو ملجئ كذلك للتصديق بإعادة الخلق، ليلقوا جزاءهم الحق على أعمالهم فى دار الفناء، وهذا لا يتم فى الحياة الدنيا، فلابد من التصديق بحياة الآخرة يتحقق فيها التناسق والكمال: ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالرزق من السماء والأرض متصل بالبدء والإعانة سواء، ورزق العباد من الأرض يتمثل فى صور شتى أظهر النبات والحيوان، والماء والهواء، والطعام، والشراب، والاستنشاق، ومنها: كنوز الأرض من معادن، وكنوز البحر من طعام وزينة، وقوى أخرى لا يعلمها إلا الله، ويكشف عن شىء منها لعباده آن بعد آن.

وأما رزقهم من السماء فلهم منه فى الحياة الدنيا: الضوء، والحرارة، والمطر، وسائر ما يسره الله لهم من القوى والطاقات، ولهم منه فى الآخرة عطاء الله الذى يقسمه لهم.

والرزق من السماء والأرض متعلق بالبدء والإعادة، فعلاقة رزق الأرض بالبدء ومعروفة فهو الذى يعيش عليه العباد، وعلاقته بإعادة أن الناس يجزون فى الآخرة على عملهم وتصرفهم فى هذا الرزق الذى أعطوه. فى الدنيا، وعلاقة رزق السماء بالبدء واضحة فهو فى الدنيا للحياة، وهو فى الآخرة للجزاء، وهكذا تبدو دقة التناسق فى السياق القرآنى العجيب.

﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٤)؟ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (النمل: ٦٤)، وإنهم ليعجزون عن البرهان، كما يعجز عن من يحاوله حتى الأن وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٧).

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه البراهين لإثبات ألوهية الواحد الديان

وهكذا ساق القرآن خمسة براهين فى هذه السورة الكريمة على ألوهيته ووحدانيته، وذلك بالخلق والإيجاد والإبداع، والرزق والإحياء والإماتة، وكلها براهين ساطعة قاطعة، لا يستطيع المشركون أنفسهم أن يكابروا فيها، أو يعادوا، وكل هذه البراهين مشتقة من واقع الحياة من الطبيعة التى يعيشونها، والكون الذى يشاهدونه، فالسماء والأرض حقيقة قائمة لا يملك أحد إنكارها، ولا أن يزعم أن هذه الآلهة المصنوعة خلقها، والماء النازل من السماء كذلك حقيقة مشهورة يستحيل إنكارها، والأنهار فى الأرض هى شرايين الحياة، والجبال الرواسى هى فى الغالب منابع الأنهار، والبحر الملح الأجاج، والنهر العذب الفرات، سمَّاها بحرين على طريق التغليب، والحاجز هو اليابسة، وهو الحاجز الطبيعى الذى لا يجعل البحر يفيض على النهر فيفسده، إذ إن مستوى سطح النهر أعلى من مستوى سطح البحر، ولو كان العكس لطفى البحر على النهر فأفسده وأفسد الحياة على وجه الأرض، فمن فعل هذا كله؟ ومن نظم الكون بهذا النظام الدقيق البديع؟

ولهذا كان القرآن يذكر هؤلاء الغافلين بهذه الحقائق الكونية المشاهدة، وفى كل مرة يقرعهم بهذا الخطاب التهكمى الساخر: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠)؟ لينبههم إلى سخافة ما يعبدون من حجارة وأوثان وقد أعيدت هذه العبارة خمس مرات مع كل برهان، يذكره القرآن :

ففى الأولى ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل: ٦٠).

وفى الثانية ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٦١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى الثالثة ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢).

وفى الرابعة ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٦٣).

وهذه هى طريقة القرآن فى الجدل حول العقيدة والإيمان، يستخدم مشاهدة الكون وحقائق النفس البشرية، فيجعل الكون كله مسرحًا للمناظر والجدل، على الخصم طريق الشغب حيث يجعله ليقر بنفسه، فلا يستطيع أحد أن يقول: أنا خلقت، أو الأصنام ترزق، أو تحيى أو تميت. ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (النمل: ٦٥ - ٦٦).

❁ ❁ ❁

الغيب المستور

بعد هذه الجولة فى الآفاق وفى أنفسهم لإثبات الواحدانية ونفى الشرك، يأخذ معهم فى جولة أخرى عن الغيب المستور الذى لا يعلمه إلا الخالق الواحد المدبر، وعن الآخرة وهى غيب من غيب الله، يشهد المنطق والبداهة والفطرة بضرورته ويعجز الإدراك والعلم البشرى عن تحديد موعده.

«والإيمان بالبعث والحشر، وبالحساب والجزاء، عنصر أكيد أصيل فى العقيدة لا يستقيم منهجًا فى الحياة إلا به، فلابد من عالم مرتقب يكمل فيه الجزاء، ويتناسق فيه العمل والأجر، ويتعلق به القلب، وتحسب حسابه النفس، ويتيم الإنسان نشاطه فى هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك» .

ولقد كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ سخريا فجاءت الآيات لتقرر أن الساعة من أمر الغيب، وأن الغيب لا يعلم أحد لا من نبى مرسل، ولا من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملك مقرب، ولا بشر، إنما هو من خصائص الخالق الواحد المدبر علام الغيوب، فإذا لم يخبرهم الرسول ﷺ عن وقت الساعة فلا ينبغى أن يكون هذا مجالًا للطعن فى رسالته، والشك فى صدق ما أخبرهم به من أمور الآخرة ولهذا قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (النمل: ٦٥).

فهو سبحانه وحده المختص بعلم الغيب والآخرة، كذلك أم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ (لقمان: ٣٤).

وقالت عائشة رضى الله عنها: من زعم أن محمدًا يعلم ما فى الغد فقد أعظم على الله الفرية.. والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] (النمل: ٦٥).

وهذه الآية نص قاطع لا تبقى بعده دعوة لمدعى، ولا يبقى معه مجال للوهم والخرافة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل: ٢١)، وما يشعر الخلائق الساكنون فى السموات والأرض بوقت الساعة فإذا لم يعرف الرسول ﷺ وقتها فلا يقدح ذلك فى رسالته ودعوته، ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل: ٦٦)، أى انتهى علمهم وعجزوا عن معرفة وقتها، وقرأ آخرون ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ﴾ (النمل: ٦٦)، من الإدراك، أى: تساوى علمهم كما فى الحديث «إن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة: ما المسئول عنها بأعلم من السائل»[2].

---

(١) صحيح مسلم ١ / ١٥٩ح ١٧٧ . سنن الترمذى ٥ / ٢٦٢ح ٣٠٦٨.

(٢) صحيح البخارى ٤/ ١٧٩٣ ح ٤٤٩٩. صحيح مسلم ١ ٣٧ ح ٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أى تساوى فى العجز عن معرفة وقتها، وقيل: أدرك بمعنى غاب، ثم تبين الآية حالهم ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل: ٦٦)، بل هم يشكرن فى الآخرة بل هم فى عمى عنها، ليس لهم بصيرة يدركون بها الأشياء لأنهم كالبهائم والأنعام، لا يبصرون ولا يتدبرون كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

❁ ❁ ❁

دلالة الآيات

ما ذكره الله عز وجل فى تلك الآيات يومئ بإشارات الإخفاء فيها حيث جمع القرآن العظيم، ما بين ما قصه من الأمور التاريخية البحتة، وعاقبة أولئك الذين كذبوا رسل الله، وما آل إليه مصيرهم من دمار لهم ولبنيانهم، ثم أعقب ذلك محاجة المعاندين والمكابرين وذلك بطلبه للأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ليدل على المقصود مما هو مطلوب منهم.

❁ ❁ ❁

هدايات

- بيان القدرة الإلهية فيما خلق وأوجد جل فى عُلاه.
- حث الخلق وخاصة المنكرين منهم على قدر الله حق قدره لأنه الأول فى كل شىء.
- إنصاف الخلق لأنفسهم وذلك بالإيمان بوجود الخالق الموجد لهم.
- التحدى الواضح لأولئك المدعين بأن مع الله خالقا آخر أن يأتوا ببرهان ذلك. ولكن دون ذلك خرط القتاد، فلا خالق إلا الله، ولا موجد إلا الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنكار المشركين للبعث والرد عليهم

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

(النمل: ٦٧ - ٧٥)

تمهيد

تبين الآيات بعدما سبق موقف أولئك الكفار الذين كانوا يسألون عن وقت الساعة مع أنهم منكرون لها، ومنكرون للبعث والنشور مستبعدين الحياة بعد موت الأجساد، وبعد أن تصير رفاتا وترابًا فيقول سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النمل: ٦٧ - ٦٨).

❁ ❁ ❁

إجمال المعنى

ذكر سبحانه الشبهات التى أوردها المشركون حول البعث والنشور. وأراد فيها بذكر الدلائل القاطعة وذكر بعض الأهوال التى تكون بين يدى الساعة.

ومسألة البعث والنشور من أعقد المسائل فى نظر المشركين من كفار مكة وهى عقدة المنكرين للبعث والنشور من ملاحدة العصر!!

ويقولون: أإذا فارقنا الحياة، وبليت أجسادنا، وتناثرت أشلاؤنا فأصبحت ذرات مختلطة بتراب الأرض هل سنرجع إلى الحياة مرة أخرى؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقولون هذا وتوقف هذه الصورة المادية بينهم وبين الحياة الأخرى وينسون أنهم خلقوا أول مرة، ولم يكونوا من قبل شيئا، ولا يدري أحد أين كانت الخلايا والذرات التى تكونت منها هياكلهم الأولى، فلقد كانت مفرقة فى أطواء الأرض، وأعماق البحار، وفى أجواء السماء، ولكنهم هكذا كانوا يقولون، وبعضهم ما يزال يقوله اليوم مع شيء من الإختلاف ثم يتبعون هذه القولة الجاهلة المطموسة بالتهكم والاستنكار .

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (النمل: ٦٨).

مستبعدين الإعادة، وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله إخبارًا عنهم ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾ (النازعات: ١١ - ١٤).

وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (يس: ٧٧ - ٧٩).

فهم كانوا يعرفون أن الرسل أنذروا آباءهم بالبعث والنشور، مما يدل على أن العرب لم تكن أذهانهم خالية من العقيدة، ولا غفلًا عن معانيها، إنما كانوا يرون أن الوعود لم تتحقق منذ بعيد، فيبنون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد قائلين: إنما أساطير الأولين، غافلين أن للساعة موعدًا لا تتقدم عنه ولا تتأخر، إنما تجيء فى الوقت المحدد لها.

ولقد قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام – وهو يسأله عن الساعة: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما هذه السخرية والاستهزاء بالعذاب الذى كان يخوفهم من رسول الله ﷺ يأتى دور الوعيد والتهديد للمكذبين، والتسلية للرسول ﷺ لئلا يأسف ويحزن عليه، فيقول سبحانه مسليا له ﷺ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (النمل: ٦٩ - ٧٠)، فهنا بأمر أولئك المشركين بالنظر، والتدبر فى أحوال من مضى ومصارعهم التى يمرون عليها، كقرى قوم لوط، وآثار قوم ثمود فى الحجر، وآثار عاد فى الأحقاف ومساكن سبأ بعد سيل العرم، وما حدث لهؤلاء سوف يحدث عن تكذيب من المشركين.

فإن السنن لا تنقطع، والقرآن يأمرهم بالسير فى الأرض لتتفتح أذهانهم، ويعيشوا حياة متصلة الأوشاج، متسعة الآفاق. ثم يوجه نبيه ﷺ ألا يحزن على أولئك المشركين، ولا يضيق صدره بمكرهم فإنهم لن يضروه شيئًا، فقد أدى واجبه تجاههم، وأبلغه دعوة الله إليهم، إن الله ناصرك ومؤيدك.

ثم يرد الله استهزاءهم واستهتارهم بالبعث والنشور فيقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (النمل: ٧١).

ثم يأتى الرد على هذا السفه ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (النمل: ٧٢)، أى: لعل الذى تستعجلون به من العذاب قدرنا، وقرب منكم بيضة. والرديف: هو الشخص الذى يكون خلف الراكب. وهو: تمثيل لقرب العذاب منهم، وكأن العذاب خلف ظهر الراكب وهم لا يشعرون.

ومن يدرى فالغيب لا يعلم إلا الله، فقد يكون العذاب على قيد خطوات ما يذهب وما يهول، وإنما العاقل من يحذر.

ثم تبين الآيات فضل الله على عباده فى تأخير العقوبة، وإدرار الرزق عليهم وهم مذنبون أو مقصرون مع علمه سبحانه بما تكن صدورهم، وما تعلنه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ألسنتهم وأفعالهم، ولكن الناس لا يشكرون على هذا الفضل فيقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (النمل: ٧٣).

ثم تختم هذه الآيات ببيان علم الله الشامل الذى لا تخفى عليه خافية فى السماء ولا فى الأرض فالله تعالى يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (النمل: ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ (الرعد: ١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه: ٧)، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٠)، وإن الفكر ليجول فى السماء والأرض وراء كل غائبة من شىء، ومن سر، ومن قوة، ومن خير، وهى مقيدة بعلم الله سبحانه الذى لا تغيب عنه غائبة فيقول سبحانه: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ٧٥).

هذه الآيات تحمل بيانا لعاقبة الظالمين المنكرين لخير الله تعالى فما أخبر عنه مما سيكون يوم القيامة من أهوال، وأمور تلحق بالجاهلين المكذبين وفرع أعظم العظة والاعتبار.

❁ ❁ ❁

هدية

- بعد كل ما سبق من آيات الله الكونية كان التكذيب بالبعث جريمة شنيعة من هذا الإنسان الملحد المكابر.
- أن الله سبحانه حليم ذو فضل على الخلق يرزقهم وهم به كافرون ويحلم عليهم وهم بآياته مكذبون.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إخبار القرآن عن أنباء السابقين

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (النمل: ٧٦ - ٨١)

تمهيـــد

وبمناسبة الحديث عن علم الله الشامل الذى لا تغيب عنه غائبة فى السموات والأرض إلا وقد أحاط بها وبأصحابها علمًا.

يأتى الحديث عن القرآن وما فيه من فصل الخطاب فيما اختلف فيه بنو إسرائيل، وهو فى أنبائه وأخباره مما فى كتب السابقين أعظم شاهد على صدق محمد ﷺ فمن أين لرسول الله – النبى الأمى – أن يخبرهم عما فى كتبهم من التحريف والتبديل، وأن يبين لهم ما وافق الحق وما خالفه منها لو لم نبيا صادقا يوحى إليه من عند الله؟

❁ ❁ ❁

هيمنة القرآن على الكتب السابقة

هيمنة القرآن على الكتب السابقة وبيان الاختلاف الجوهرى الخطير فى معتقداتهم وبين القول الصواب فيه.

يقول سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الزخرف: ٥٩)، فالقرآن الكريم بما فيه من الهدى والبيان يقص على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل – أكثر الذى هم فيه يختلفون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالنصارى: اختلفوا فى المسيح وأمه:

- فقالت جماعة: إن المسيح إنسان محض.

- وقالت أخرى: إنه الأب والابن والروح القدس: إن هى إلا صور مختلفة أعلن الله بها نفسه للناس..

فالله فى زعمهم مركب من أقانيم ثلاثة، الأب، والابن، والروح القدس. (فالابن هو عيسى).

- وقالت جماعة: إن الابن ليس أزليا كالأب. بل هو مخلوق من قبل العالم. ولذلك هو دون الأب. وخاضع له.

فجاء القرآن الكريم ليقول كلمة الفصل بين هؤلاء جميعًا:

- فقال عن المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩).

- كما **اختلفوا فى مسألة صلبة:**

- فمنهم من قال: إنه صلب حتى مات ودفن، ثم قام من قبره بعد ثلاثة أيام وارتفع إلى السماء.

- ومنهم من قال: إن يهوذا أحد حواريه الذى خانه، ودلَّ عليه ألقى عليه شبه المسيح وصلب..

وقص علينا القرآن الكريم الخبر البين فقال سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧).

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: ٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

وكان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم قال: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا»(١).

وأخبر ﷺ اليهود «أن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة»(٢).

- واليهود حرفوا التوراة وعدلوا تشريعاتها الإلهية:

فجاء القرآن يثبت الأصل الذى أثبته الله فيقول سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (المائدة: ٤٥).

فإن هذا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم فى نص التوراة أن النفس بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك عمدًا وعنادًا كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم فى رجم الزانى المحصن، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار.

---

(١) صحيح البخارى ٥ / ٢٣٢٦ح ٥٩٥٣. صحيح مسلم ٤ / ٢٠٨٣ح ٢٧١١.
سنن الترمذى ٥ / ٤٨١ح ٣٤١٧.
(٢) تفسير الطبرى ٣ / ٢٨٩. تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٢ / ٢٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك نسبوا إلى الأنبياء عليهم السلام الأساطير التى كتبوها فى التوراة فلم يكد نبى من أنبياء بنى إسرائيل يخرج منها نظيفًا فيزعمون أن إبراهيم قدم امرأته لملك فلسطين، وإلى فرعون ملك مصر باسم أنها أخته لعله ينال بسببها نعمة فى أعينهما، ويعقوب الذى هو إسرائيل أخذ بركة جده إبراهيم من والده بطريق السرقة والحيلة والكذب، وداود رأى امرأة جميلة عرف أنها زوجة أحد جنوده فأرسل هذا الجندى إلى الحرب ليفوز بامرأته إلى غير ذلك من تلك الأساطير.

فجاء القرآن، الكريم ليطهر صفحات هؤلاء الرسل الكرام مما لوثتهم به الأساطير الإسرائيلية التى أضافوها إلى التوراة فالقرآن الكريم فيه الهدى والرحمة للمؤمنين، والمنهج القرآنى منهج ربانى فريد، فهو يتفق مع الفطرة التى خلقها الله، فهو يرحمهم من الشطط والحيرة والتخبط، بل يجعل النفوس مطمئنة بهذا المنهج، تعيش فيه ومعه فى أمان وسعادة لا يدركها إلا المؤمنون بالله وحده، ولذا يقول تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (النمل: ٧٨).

لقد أوحى الله للنبى الكريم بهذا الكتاب ليبلغه لقومه وللناس أجمعين، وهو لم يقصر فى دعوته، ولكنه إنما يسمع الأحياء أحياء القلوب، الذين تقى آذانهم، فتتحرك قلوبهم، فيقبلون على الناصح الأمين، فأما الذين ماتت قلوبهم، وعميت أبصارهم عن دلائل الهدى والإيمان، فما له فيهم حيلة، وليس له إلى قلوبهم سبيل فيقول سبحانه: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (النمل: ٧٩ - ٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أى: أنك ليس فى قدرتك أن تسمع الأموات فى أحداثها، ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون ومع ذلك عنك مدبرون كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله سبحانه، فإنه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدى من يشاء، ويضل من يشاء. وليس ذلك لأحد سواه.

والصحيح عند العلماء أن الميت يعرف بزيارة الحى ويستبشر به، وذلك لما روى من حديث عبد الله بن عمر فى مخاطبته ﷺ لقتلى بدر، حتى قال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جيئوا؟ فقال: «والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون»(١).

وثبت عنه ﷺ أنه قال لأمته إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم بسلام من يخاطبون فيقول المسلم: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد(٢).

فالتعبير القرآنى البديع يرسُم صورة حية متحركة لحالة نفسية غير محسوسة، حالة جمود القلب، وجمود الروح، وبلادة الحسّ، فيخرجهم مرة فى صورة الموتى، والرسول ﷺ يدعو وهم لا يسمعون الدعاء؛ لأن الموتى لا يشعرون! ويخرجهم مرة فى هيئة الصم مدبرين عن الراعى لأنهم لا يسمعون! ويخرجهم مرة من صورة العمى يمضون فى عماهم، لا يرون الهادى لأنهم لا يبصرون .

(١) صحيح البخارى: ١/ ٤٦٢ح ١٣٠٤.
صحيح مسلم: ٣/ ٦٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٠٦ - ٢٠٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفى مقابل الموتى والعمى والصم، يقف المؤمنون فهم أحياء، وهم السامعون وهم المبصرون، فيقول سبحانه: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (النمل: ٨١).

إنما تسمع الذين تهيأت قلوبهم لتلقى آيات، بالحياة والسمع والبصر، وآية الحياة الشعور، وآية السمع والبصر الانتفاع بما يسمع وبما يرى، فالمؤمنين هم المنتفعون بالهداية.. كذلك فالإسلام دين الفطرة فما يكاد القلب السليم يعرفه حتى يستسلم له.

❁ ❁ ❁

هدية

- القرآن هو مصدر الهداية، والمرجع عند الاختلاف، فحكمه الفصل، وقوله الحق.
- أن كل اختلاف وقع للسابقين واللاحقين إنما هو لتنكرهم هدى القرآن، وتنكبهم عن سبيله.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض علامات الساعة وبعض مشاهد يوم القيامة

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النمل: ٨٢ - ٩٣)

تمهيـــــد

بعد أن ذكر – الحق تبارك وتعالى – فضل القرآن وحكايته للأنبياء والسابقين وأن فيه الهداية للمؤمنين بعد ذلك يجول بهم فى جولة أخرى فى أشراط الساعة وبعض مشاهدها، قبل أن يختم السورة جولة فيها ظهور الدابة التى تكلم الناس الذين كانوا لا يؤمنون بآيات الله الكونية، ويرسم مشهدًا للحشر والتبكيت للمكذبين بالآيات وهم واجمون صامتون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم يعود بهم من هذا المشهد إلى آيات الليل والنهار المعرضون للأبصار وهم عنها غافلون ثم يرتديهم ثانية إلى مشهد الفزع يوم ينفخ فى الصور ويوم تسير الجبال، وتمرمرّ السحاب، ويعرض عليهم مشهد المحسنين الآمنين من ذلك الفزع، والمسيئين كبّت وجوههم فى النار[١].

فيقول سبحانه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٨٢)، والمراد بالوقوع: الدنو والاقتراب كما فى قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١)،

أى إذا دنا واقترب وقت قيام الساعة، ونزول العذاب بالمجرمين المكذبين أى أخرجنا لهم دابة من الأرض، هى (الجساسة) لأنها تتجسس أخبار الناس، وهى من آيات الله الكبرى، ومن علامات الساعة الباهرة، لأنها تكلم الناس كلاما فصيحا صحيحًا وتخاطبهم مخاطبة صريحة تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، كما روى عن عطاء وابن عباس.

فهذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله – عز وجل – وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض، من مكة، وقيل: من غيرها فتكلم الناس كلامًا، أى: تخاطبهم مخاطبة[٢].

وقد روى عن وهب بن منبه قال: تخرج تكلم الناس، كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجًا، ويتعادى الأخلاء، ويرفع العلم، وفى ذلك الزمان يرجو الناس مالا يبلغون، ويتعبون فى مالا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون.

---

(١) المرجع السابق: ٥ / ٢٦٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث كثيرة. منها ما روى عن ابن عمرو قال: حفظت من رسول الله حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا[١].

وما روى عن النبى ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف – يعنى خسوف الأرض خسف بالمغرب، وخسف بالشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا[٢].

فإذا آل أمر الناس إلى أن كانوا لا يؤمنون بآيات الله المشهودة لهم، وبطل استعدادهم للإيمان بالله وبالتعقل والاعتبار، فذلك وقت أن يريهم الله ما وعدهم من الآيات الخارقة للعادة ومن هذه الآيات خروج الدابة، وقد ذكر المفسرون أحاديث كثيرة فى وصف الدابة، وهل هى من الإنس وغير ذلك، وهى أمور لا حاجة إلى ذكرها إذا لم يصح من هذه الأحاديث شىء وحسبنا أن نقف على النص القرآنى والحديث الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٦٠ح ٢٩٤١. سنن الترمذى ٤ / ٤٧٧ح ٢١٨٣.
(٢) صحيح مسلم ح ٢٩٠١.الترمذى ح ٢١٨٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من مشاهد يوم القيامة

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: ٨٣)، بعد أن ذكر الحق – تبارك وتعالى – علامة من علامات الساعة وهى خروج الدابة التى تكلم، جاءت الآيات بعد ذلك لتذكر بعض من مشاهد يوم القيامة، وموقف المكذبين لآيات الله ورسله، حين يقفون بين يدى أحكم الحاكمين، ويسألون سؤال تحقير وتصغير: أكذبتم بآيات الرحمن من غير دليل ولا برهان ولا برها؟ وماذا كنتم تعلمون فى الدنيا؟ وهناك لم يكن جواب إلا الصمت والخذلان، واسوداد الوجوه فيقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: ٨٣).

فهو توبيخ لهم وتقريع وتحقير كما قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ (الصافات: ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (التكوير: ٧)، فهؤلاء يساقون كما تساق الأنعام يرد أولهم على آخرهم، حتى يتلاحقوا ويتجمعوا فى موقف التوبيخ والتحقير ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل: ٨٤).

أى: حتى إذا حضروا موقف الحساب والسؤال، خاطبهم الله تعالى بقوله: أكذبتم بآياتى التى جاء بها الرسل، من غير تفكر وتدبر؟ أم أى شىء وكنتم تعلمون فى الدنيا؟

والسؤال الأول: للتأنيب فمعروف أنهم كذبوا بآيات الله.

والسؤال الثانى: للتهكم والسخرية، كأنه يقول لهم ماذا قدمتم ليومكم هذا؟ وما هى الأعمال الصالحة التى تستحقون بسببها الإكرام؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله عنهم ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القيامة: ٣١-٣٢).

فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (المرسلات: ٣٥ - ٣٦).

وهكذا قال هاهنا: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ (النمل: ٨٥)، أى: بهتوا فلم يكن لهم الجواب لأنهم كانوا فى الدنيا ظلمة لأنفسهم وقد ردُّوا إلى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية[1].

ولما ذكر الحشر، استدل عليهم بحشرهم كل ليلة إلى الميت، والختم على مشاعرهم، وبعثهم من المنام، وإظهار الظلام الذى هو كالموت بعد النور، وبعث النور بعد إفنائه بالظلام فقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٦).

وقد جعل الله الليل للراحة لتسكن النفس، وتستريح من النصب والتعب فى النهار، وجعل الله النهار للسعى وكسب المعايش، والأسفار، والتجارات، وغير ذلك من شؤونهم، فالليل والنهار جزء من نظام الكون، الذى هيأه الحكيم العليم لصالح العباد، فلو لم يكن ليل ولا نهار لانعدمت الحياة على وجه الأرض، بل لو كان النهار أو الليل أطول مما هما الآن عشر مرات فقط لأحرقت الشمس كل نبات، ولتجمد فى الليل كل نبات، ولاستحالت الحياة على وجه الأرض، ولهذا لفت القرآن أنظارهم إلى تعاقب الليل والنهار إذ هى من أعظم الآيات والدلائل على وجود الله، فقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٤٧).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم تنتقل الآيات إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة، وهو النفخ فى الصور، فيقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧).

فلما ذكر الله تعالى مشهد الحشر وموقفهم المهين بين يدى الله تعالى تنتقل الآيات إلى مشهد آخر وهو النفخ فى الصور فيقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النمل: ٨٧-٩٠).

فيخبر سبحانه عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة، والزلازل الهائلة فى الصور وهو كما جاء فى الحديث «قرن ينفخ فيه» وفى حديث الصور أن إسرافيل هو الذى ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أول نفخة الفزع ويطولها، وذلك فى آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على أشرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله.

وهم الشهداء فإنهم أحياء وعند ربهم يرزقون[1].

ففى الحديث: «قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن والله عظيم والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات، النفخة الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة البعث والقيام لرب العالمين» وهو النشور من القبور لجميع الخلائق، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧)، أى: طائعين صاغرين لا يتخلف

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحد عن أمره كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٥٢).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (الروم: ٢٥).

قال القرطبى: والسنة الثابتة من حديث أبى هريرة، وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨).

فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن كلا الأمرين لازمان لها أى: ففزعوا فزعا ماتوا منه، أو المراد النفخة الثانية أى: يحيون فزعين يقولون: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (يس: ٥٢). ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم، وهذا النفخ كصوت البرق لتجتمع الخلق فى أرض الجزاء[١].

وعن أبى هريرة قال: (عن النبى ﷺ) قال: ما بين النفختين أربعون؟

قالوا أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟

قال أبيت، ليس من الإنسان شىء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة[٢].

ثم استثنى سبحانه من نفخة الفزع هذه، الذين لا يعتريهم الفزع إلا من شاء الله، قيل: هم الشهداء، لما روى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: سألت

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى ١٣/ ١٥٩.

(٢) صحيح البخارى ٤٩٣٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جبريل عن هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨).

من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء[1].

ثم تذكر الآيات مشهدًا آخر أعظم من فزع الناس وهو الجبال الجامدة الراسخة فيقول سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

أى: يحسبها الرائى ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهى تمرّ السحاب، أى: تزول عن أماكنها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ (الطور: ٩ - ١٠)، وقال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ (طه: ١٠٥ - ١٠٧) قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨).

ففى هذا إشارة إلى أن هذا الصنع والفعل منه تعالى تخريب الدنيا وهدم العالم، لكنه فى الحقيقة تكميل لها وإتقان لنظامها لما يترتب عليه من إنهاء كل شىء إلى غايته، وإيصاله إلى وجهته، التى هو موليها من سعادة أو شقوة؟ لأن ذلك صنع الله الذى أتقن كل شىء فهو سبحانه لا يسلب الإتقان عما أتقنه، ولا يسلط الفساد على ما أصلحه ففى تخريب الدنيا تعمير للآخرة فهو سبحانه الخبير الحكيم.

ثم تبين الآيات بعد ذلك حال الناس بعد أن يُحشروا، وبعد أن يروا تلك الجبال التى صارت هباء منثورًا فيقول سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٢٠ / ٢٥٣ وصححه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(النمل: ٨٩)، يبين الله تعالى فى موضع آخر أن الحسنة بعشر أمثالها فيقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وهذه الآية مفصلة لما أجمل فى الآية الأولى ووردت أحاديث مطابقة لهذه الآية فقد روى عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم عز وجل رحيم، من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها له واحدة أو يمحوها الله عز وجل، ولا يهلك على الله إلا هالك[(١)].

وفى حديث عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطايا ثم لقينى لا يشرك بى شيئا جعلت له مثلها مغفرة، ومن تقرّب إلىَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرّب إلى ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتانى مشيا أتيته هرولة»[(٢)].

وقال ابن كثير[(٣)]: وأعلم أن تارك السيئة الذى لا يعملها على ثلاثة أقسام: تارة يتركها لله – عز وجل – فهذا تكتب له حسنة على كفّه عنها لله تعالى.

وهذا عمل ونية، ولهذا جاء أنه تكتب له حسنة كما جاء فى بعض ألفاظ الحديث: (**إنما تركها من جرّائى**) أى لأجلى.

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٧٩. البخارى ٦٤٩١.
مسلم: ١٣١ دون قوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ٧).
(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٧.
(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٣٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتارة يتركها ناسيا وذهولًا عنها فهذا الاله ولا عليه لأنه لم يفعل خيرا ولا فعل شرًّا. وتارة يتركها عجزا وكسلا عنها بعد السعى فى أسبابها والتلبس بما يقرب منها فهذا يتنزل فنزلة فاعلها كما جاء فى الحديث: **(إذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه**[1]**)**.

ثم تختم الآيات بأن الجزاء لابد أن يكون من جنس العمل جزاء وفاقا على ما قدموه فالمؤمنون آمنوا من هذا الفزع الأكبر وهو وحده جزاء منه وفضل من الله كما قال سبحانه ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

ومن عمل السيئات فكان جزاؤه أن يلقى فى النار جزاء ما قدم وهو مشهد مفزع، وهم يكبون فى النار على وجوههم، فقد أعرضوا عن الهدى، وأشاحوا عنهم بوجوههم، فهم يجزون به كبًّا لهذه الوجوه فى النار.

وفى النهاية تجىء الإيقاعات الأخيرة حيث يلخص الرسول ﷺ دعوته ومنهجه فى الدعوة ويكلهم إلى مصيرهم الذى يرضونه لأنفسهم بعد ماضى من بيان ويختم بحمد الله كما بدأ ويدعوهم إلى أن الله يكشف لهم آياته ويحاسبهم على ما يعملون: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النمل: ٩١ - ٩٣).

---

(١) صحيح البخارى ١ / ٢٠ح ٣١. صحيح مسلم ٤ / ٢٢١٣ ح ٢٨٨٨.
سنن أبى داود ٤ / ١٠٣ح ٤٢٦٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتختم السورة فكانت مكة حرمًا آمنا لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصطاد فيها صيد، ولا يعضد فيها شجر.

وهذه الآية تبين منهج الدعوة الحق التى فيها التبشير والإنذار لإتمام الحجة من غير أن يرجع إليه رسول الله ﷺ من أمرهم شيء، وإنما الأمر إليه وحده سبحانه وسيريهم آياته فيعرفونها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ١٠٤).

وإضافة الربوبية إلى البلد على سبيل التشريف لها، والاعتناء بها، كما قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾ (قريش: ٣ - ٤).

فأمرهم سبحانه أن يوحدوه ويفردوه بالعبادة كما جعل لهم حرمًا آمنا وبيتا محرمًا فقد تفضل عليهم بنعمة الأمن، وهو الذى أطعمهم من جوع فيفردوه بالعبادة ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندًّا ولا وثنًا، ولهذا من آمن بالله جمع الله لهبين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (النحل: ١١٢ - ١١٣).

وقد حرمها النبى ﷺ أيضا فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﷺ يوم فتح مكة: «إن الله حرمه يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يخلى خلالها بتمامه(١)» فقد أثبتت الآيات أن الله تعالى له كل شىء، وإليه المرجع والمآل.

وبعد أن بنيت الآيات ذلك المنهج الذى رسمه الله تعالى للدعوة الإسلامية بدأ ليبين وسيلة تلك الدعوة وهى تلاوة القرآن فقال سبحانه: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (النمل: ٩٢). فالقرآن هو الكتاب الخالد، ودستور تلك الدعوة إلى أن تقوم الساعة، وقد أمر أن يجاهد به الكفار، وفيه وحده الغناء فى جهاد الأرواح والعقول، وفيه ما يأخذ عن النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها، وفيه ما يزلزل القلوب القاسية، ويهزها هزًّا لا تبقى معه على قرار، والقرآن فيه الهداية فمن اهتدى فلنفسه، ومن لم يهتد به بالإعراض عن ذكر ربه فعليه ضلالة، ووبال كفره، ولا علىَّ لأنى لست إلا منذر مأمور بذلك ولست عليه وكيلًا، والله هو الوكيل عليه قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (هود: ١٢)، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الرعد: ٤٠).

وهنا تتمثل فردية التبعية والتبعة فى ميزان الله، فيما يختص بالهدى والضلال، وفى فردية التبعة تتمثل كرامة الإنسان، التى يضمنها الإسلام، فلا يساق سوق القطيع إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥).

فلا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجنى جان إلا على نفسه، ولا منافاة بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٣).

(١) الحديث عند الشيخين: البخارى ١٨٣٢ – مسلم ١٣٥٤ – بألفاظ متعددة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم فى أنفسهم، وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أصلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك، ولا يحمل عنهم شيئًا، وهذا من عدل الله ورحمته بعباده. وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النجم: ٣٨ - ٣٩).

فقد استنبط الإمام الشافعى رحمه الله من هذه الآية:

أن إهداء ثواب القراءة إلى الموتى لا يصل لأنه ليس من عملهم ولاكسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، إذ لو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما - والمسألة خلافية بين أهل العلم. وأما ما روى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية، أو علم ينتفع به[١]» فهذه الثلاثة فى الحقيقة من سعيه وكدّه وعمله.

كما جاء فى الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه[٢]» والصدقة الجارية كالوقف ونحوها هى من آثار عمله، والعلم الذى نشره فى الناس، فاقتدى الناس به بعده هو أيضا من سعيه وعمله.

ثم تختم السورة بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى فيقول سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (النمل: ٩٣).

---

(١) صحيح مسلم رقم ٨٤٣٠.

(٢) مسند أحمد ٦ / ٣١. أبو داود ٣٥٢٨. الترمذى ١٣٥٨. النسانى ٧ / ٢٤٠ عن عائشة والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أى: وقل الثناء الجميل لله تعالى فيما يجريه فى ملكه حيث دعا الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، وهدى الذين آمنوا بآياته، وأسلموا له وأما المكذبون فأمات قلوبهم، وأصم آذانهم، وأعمى أبصارهم فضلوا وكذبوا بآياته..

وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت: ٥٣).

أى سنظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلًا من عند الله على رسوله ﷺ بدلائل خارجية فى الآفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وكذلك الدلائل فى أنفسهم كما هو معروف فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة. وقيل انظر فى نفسك تعرف ربك.

وقد ذكر ابن أبى الدنيا فى كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبى جعفر القرشى أنه قال وأحسن المقال:

وإذا نظرت تريد معتبرًا ... فانظر إليك ففيك معتبر

أنت الذى تمسى وتصبح فى ... الدنيا وكل أموره عبر

أنت المصرف كان فى صغر ... ثم استقل فى شخص الكبر

أنت الذى ينعاه خلقته ... ينعاه منه الشعر والبشر

أنت الذى تعطى وتسلب ... لا ينجيه من أن يسلب الحذر

أنت الذى لا شىء منه له ... وأحق منه بماله القدر

ثم تختم الآية بأن الله وحده لا يخفى عليه شىء، ولا يغفل عن شىء، فقد رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله، فإن الله لو كان غافلًا شيئًا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة»[1].

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٣٨٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله أنه كان ينشد هذين البيتين إما له وإما لغيره:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

والسورة ختمت بالتذكير باليوم الآخر معرجة على ذكر الأهوال التى تحدث فى ذلك اليوم الجلل فكان الارتباط حلًا واضحًا ينادى العباد بالاستقامة، وسلك سبل الرشاد للنجاة من أهواله، ويكون بمثابة التحذير الضمنى لهم، وفيه مزيد اعتبار وعظة.

❁ ❁ ❁

الخاتمة

- الرجوع إلى القرآن فى جميع شؤون الحياة الدنيا والآخرة فهو زاد المؤمنين، ودستور الدعاة المصلحين.
- الدعوة إلى الله ترتكز على ركيزتين اثنتين: هما : الترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير.
- فضل الله على عباده بمضاعفة الحسنات، وعدم المؤاخذة على ما اقترفه العبد من السيئات ومع ذلك فالعفو مرجو منه ليس ببعيد.
- مراقبة الله تعالى فى جميع الأحوال، وتذكر الآخرة، والإعداد للقائه، والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

شبكة الألوكة - قسم الكتب